

# مَقَامَاتُ النَّقِيلِي

فِي الإِسْتِعْدَادِ لِلرَّحِيلِ، مِنْ دَارِ الْقَالِ وَالْقِيلِ



تَأْلِيفُ

الدُّكْتُور: عِصَامُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمَ النَّقِيلِي

عَفَرَ اللهُ وَلَوْ الدَّبِيهَ وَمَشَائِخِهِ وَالْمُسْلِمِينَ آمِينَ





# مَقَامَاتُ النَّقِيلِي

فِي الْإِسْتِعْدَادِ لِلرَّحِيلِ، مِنْ دَارِ الْقَالِ وَالْقِيلِ

تَأليف

الدُّكْتُور: عِصَامُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمَ النَّقِيلِي

عَفَرَ اللَّهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَمَشَائِخِهِ وَالْمُسْلِمِينَ آمِينَ







يا ناظرًا فيما عمدتُ لِسَجِّعِهِ \* عذراً فإنَّ أخوا البصيرة يعـذُرُ  
واعلمُ بأنَّ المرءَ لو بلغَ المَدَى \* في العُمُرِ لاقى الموتَ وهو مقصِرُ  
فإذا ظفرتَ بزِلَّةٍ فافتحْ لَهَا \* بابَ التَّجَاوُزِ فَالتَّجَاوُزُ أَجْدُرُ  
ومنَ المحالِ بأن نرى أحداً حوى \* كُنْهَ الكَمالِ وذا هو المتعذِرُ  
فالنَّقصُ في نفسِ الطَّبيعةِ كائنٌ \* فبنو الطَّبيعةِ نقصهم لا يُنْكَرُ<sup>(1)</sup>

---

(1) عَلَّمَ الدِّينِ القَاسِمُ بِنُ أَحْمَدَ الأَنْدَلِيسِيُّ ، كتاب "أسنى المقاصد وأعذب الموارد"، أصلها: يا ناظرًا فيما عمدتُ لجمعِهِ، وغيرها بقولي: لسجعه، لتوافق المقامات.



أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى  
وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ }

﴿يونس: ٥٧﴾

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:

جَاءَ رَجُلَانِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَخَطَبَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> أخرجه البخاري 5146، واللفظ له، ومالك ((الموطأ - رواية أبي مصعب الزهري)) (2074)، وابن حبان (5795).



## {بَيْنَ يَدَيِ الْمَقَامَاتِ}

{مِنْ مَلَاهِي الْأَدَبِ، إِلَى مَوَاعِظِ التَّلَبُّبِ<sup>1</sup>}

نَشَأَةُ الْمَقَامَةِ: بَيْنَ الْفُكَاهَةِ وَالْكَؤُودِيَّةِ<sup>2</sup>:

- يُعَدُّ فُنُّ "المقامة" ابتكاراً عبقرياً في النثر العربي، وُلِدَ على يد بديع الزمان الهمداني: (ت ٣٩٨هـ)، ثم بلغ ذروة نضجه وإحكامه مع القاسم الحريري: (ت ٥١٦هـ).

- كانت المقامة في أصلها تقوم على بطلٍ وهميٍّ "مُحْتَالٍ" (مُكَدِّ) يمتلك لغماً من الفصاحة والبيان، يستخدمه في المجالس والأسواق للاحتيال على الناس وطلب المال بأساليب فكاھية وذكية.

اشتهرت المقامات بوجود شخصيتين محوريتين:

1 - البَطْلُ: وهو غالباً رجلٌ ذو دهاءٍ وأيضاً هو لغويٌّ بارع، مثل: أبو الفتح الإسكندري، عند الهمداني، وأبو زيد السروجي، عند الحريري.

2 - الرَّاوي: وهو الشخص الذي ينقل لنا هذه المغامرات، مثل: عيسى بن هشام، أو الحارث بن همام، وكلاهما شخصيتان وهميتان يرويان القصص في حال سرد المقامات، مثال: في مقامات الحريري، الراوي الوهمي هو الحارث بن همام، وهو الشخصية التي تتواجد في كل مقامة لتروي لنا ما شاهدته من أعاجيب البطل (أبو زيد السروجي)، من ذلك قول الحريري على لسان راويته الحارث بن همام: رَوَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ: نَضَوْتُ عَنِّي شَبَاباً كَالنَّصْلِ الْمَصْقُولِ، وَطَوَيْتُ عُمراً فِي التَّرْحَالِ وَالْجَوْلَانِ الطَّوِيلِ، فَأَلْقَتْنِي غُرْبَتِي إِلَى صِنْعَاءِ الْيَمَنِ، وَدَخَلْتُهَا بِخُفِّ حَنِينٍ وَلَا مَسْكَنٍ...

<sup>1</sup> التَّلَبُّبُ: الحزم، والتفهؤ، وجمع النفس.

<sup>2</sup> الكُؤُودِيَّةُ: أصلها: "الاستجداء" أو "التسؤل"، ولكن ليس أي تسؤل؛ بل هو تسؤل الأديباء والبلغاء، يُقال: "فلانٌ من أهل الكُؤُودِيَّةِ" أي ممن يتكسبون بلسانهم وبيانهم في المجالس والأسواق... وهي مصطلح أدبي واجتماعي بليغ.

- وكان الهدفُ الأول من هذه المقامات هو "التسلية اللغوية" واستعراض القدرة على السجع الغريب والملح الفكاهية، مع مسحةٍ خفيفة من "العبرة" التي غالباً ما تضيع في زحام الضحك والبيان.

مَقَامَاتُ النَّقِيلِي...: خُرُوجٌ عَنِ النَّمَطِ:

- وإيماناً منا بأنَّ الكلمة أمانة، واللغة ميزان، فقد أردنا في هذا العمل (مقامات النقيلي) أن نخرج بفن المقامة من دائرة "التسلية والكديّة" إلى رحاب الوعظ والإنباء. فلم نعد نرى في بطلها شخصاً يبحث عن درهم، بل رأينا بطل القصة شخصاً حقيقياً في الواقع، وهمياً في القصة؛ وهو ذلك الإنسان الذي يمثل حال الكثيرين في صراعهم مع الغفلة وطول الأمل.

- في هذا العمل: أردتُ استعارة هذا القالب "السكندري"<sup>1</sup> الرصين، ولكن بقلب نابضٍ بالحشية والوعظ.

فلقد استبدلتُ "فكاهة" أبي زيد السروجي بـ "فجيعة" بطل القصة؛ الذي هو المؤلف نفسه، والذي لا يحتال على الناس بلسانه، بل احتال الشيطان عليه بغفلته.

- إنَّ المؤلّف "عصام الدين" بطلٌ خياليٌّ في النص، لكنه حقيقةً مُرة في الواقع؛ فهو ليس محتالاً يطلب الدراهم، بل هو "نفسٌ لوامة" تطلب النجاة، فهو ذلك الإنسان الذي أسكرته الدنيا بمزارعها وقيلاتها، فأيقظه الله بـ "كابوسٍ صخري" ليكون عبرةً لمن يقرأ.

- لما كان في مقامات القدماء البطل والراوي وهميَّان، وهما ركنا المقامات، جعلنا هنا الراوي والبطل شخص واحد يحكي قصته، وهو وكما قلنا وهمي في المقامات، لكنّه حقيقيٌّ في الواقع، وزدت على ذلك أن جعلت من نفسي الراوي والبطل في آن واحد، ليستشعر القارئ أحاسيس الراوي البطل، ويعيش مع القصة على أنّها واقع، فهنا الراوي يتحدّث عن نفسه فهو بطل

<sup>1</sup> المقصود بـ «القالب السكندري» هو الهيكل الفني الذي ابتكره بديع الزمان الهمذاني (مبتكر فن المقامة)، ونسبه لبطل مقاماته الشهير أبو الفتح الإسكندري.

الرواية، وهو بذاته شخص معلوم، كذلك هو نفسه من كتب مقاماته، حينها يغوص القارئ في أعماق الرواية، أكثر من أن يسمع أديباً يحدثه عن شخص آخر وهمي وهذا الأخير يحكي قصصاً عن بطل وهمي، فهو مفيد في الفكاهة، ولكنني أردتُ بهذه المقامات الوعظ، فكان بذلك جعل الراوي هو البطل نفسه، وهو بذاته الكاتب كانت أكثر أثراً في الوجدان...

نُقْلَةٌ نَوْعِيَّةٌ: مِنَ الْكُذْبَةِ إِلَى الْإِنَابَةِ:

لقد حولنا "المقامة" من مجلسٍ للضحك إلى محرابٍ للبكاء، ومن استعراضٍ للبيان إلى استنفارٍ للجنان.

فإذا كان الهمداني يختم مقامته بضحكة البطل على سداجة الناس، فإنَّ الرَّاويَ البطلَ يختم مقامته بشهقة التائب وسجدة المنيب.

وختاماً: فقد اعتمدتُ في هذا البناء على الرجز التام وجزالة السجع المقامي، لنثبت أنَّ اللغة العربية بقدرتها وفخامتها قادرةٌ على أن تكون سيفاً يقطع حبال الغفلة، وبلسماً يداوي جراح الذنوب.

\*\*\*\*\*



## {مقدمة}

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: 102].  
{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: 1].  
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا \* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 70 - 71].

أما بعد: "فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار"<sup>1</sup>.

وبعد: فقد حكى عصام الدين بن إبراهيم، ذو التفسير الأليم، والراجي عفو ربه الرحيم، قال: لَمَّا رَأَيْتُ أَنْوَارَ الْبَلَاغَةِ قَدْ حَفَّتْ مَصَابِيحُهَا، وَأَزْهَرَ الْفَصَاحَةَ قَدْ ذُبُلَتْ مَرَاوِيحُهَا<sup>2</sup>، وَعَزَفَ النَّاسُ عَنِ جَزِيلِ الْكَلَامِ، إِلَى رَكِيكِ النَّظْمِ وَسَيِّئِ النَّظَامِ، أَرَدْتُ أَنْ أُحْيِيَ فَنَّا كَانَتْ لِلْعَرَبِ عِمَادًا، وَلِلْأَدَبِ مِهَادًا، وَهُوَ فَنُّ الْمَقَامَاتِ الْبَدِيعَةِ، ذَاتِ الْمَعَانِي الرَّفِيعَةِ.

والمقامة: يرعاك الله؛ هي المجلس الذي تساق فيه العظات، في قوالب القصص والحكايات، يُزِينُهَا السَّجْعُ الرَّصِينُ، وَيُجَيِّبُهَا النَّثْرُ الثَّمِينُ.

<sup>1</sup> أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله، وإن أفضل الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار أتكم الساعة بغتة - بعثت أنا والساعة هكذا - صبحتكم الساعة ومستكم - أنا أولى بكل مؤمن من نفسه - من ترك مالا فلاهله - ومن ترك ديناً أو ضياعاً فإلي وعلي - وأنا ولي المؤمنين.  
الراوي: جابر بن عبد الله، المصدر: أخرجه النسائي في (المجتبى) (3/ 188)، وأحمد (3/ 310) باختلاف يسير.  
وصححه الألباني في صحيح الجامع، الرقم: 1353.

<sup>2</sup> المرأويح: جمع "مرواح"، وهي في لغة العرب تطلق على الريح الطيبة التي تهب بالرائحة الزكية (من الروح والرائحة).

ابْتَكَّرَ بِنَاءَهَا: بَدِيعُ الزَّمَانِ الِهْمْدَانِيّ، فَاتَى بِمَا عَجَزَتْ عَنْهُ الْمَعَانِي.

ثُمَّ جَلَا صَدَأَهَا، وَشَادَ فَنَاءَهَا: أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَرِيرِيُّ، فَبَزَرَ بِفَصَاحَتِهِ كُلَّ مَارِيٍّ وَجَرِيرِيٍّ<sup>1</sup>، حَتَّى صَارَتْ مَيْدَانًا لِلْسَّابِقِينَ، وَنَبْرَاسًا لِلْمُتَأَدِّبِينَ.

هَذِي مَقَامَاتٌ زَهَتْ لِلنَّاطِرِ \* صَاعَ الْبَدِيعِ لَفْظَهَا كَالْجَوْهَرِ

وَزَادَهَا الْحَرِيرُ مِنْ بَيَانِهِ \* فَأَبْرَقَ الْفَرُّ سَنَا سِنَانِهِ

وَلَمَّا كَانَتْ مَقَامَاتٌ مِنْ سَبَقٍ، قَدْ غَاصَتْ فِي لُجْحِ الْفُكَاهَةِ وَالْمَلَقِ، وَجَرَتْ بَيْنَ الْأَعْيَبِ الْمَجُونِ<sup>2</sup> وَالْحَدَقِ، وَاتَّخَذَتْ مِنْ "أَبِي الْفَتْحِ" وَ"السَّرُوجِيِّ" أَبْطَالًا بَيْنَ الْخِيَالِ وَالْوَهْمِ، لَا هُمَا فِي الْحَقِيقَةِ رَسْمًا وَلَا عِلْمًا؛ أَرَدْتُ أَنْ أَسْأَلَكَ مَسْئَلًا قَصْدِيًّا، وَأَنْهَجَ مِنْهَجًا صَدَقِيًّا.

مَقَامَةُ الْقِدَمِ خِيَالٌ وَمَلَقٌ \* لَكِنْ عِصَامُ الدِّينِ<sup>3</sup> بِالْحَقِّ نَطَقَ

لَمْ أَبْنِ قِصَّتِي بِزَيْفٍ مَوْهُومٍ \* بَلْ أَرَوُ مَا يَأْتِي بِوَقْعٍ مَحْتَمُومٍ

مَقَامَتِي تَحْكِي حَقِيقَةً وَإِنْ \* أَبْدَيْتُهَا بِشَكْلِ فَنٍ سُسْتَبَنَ<sup>4</sup>

ثُمَّ اعْلَمْ رَعَاكَ اللَّهُ؛ أَنَّ مَا سَطَرْتُهُ فِي هَذِهِ الْمَقَامَاتِ، وَمَا وَصَفْتُهُ مِنْ أَهْوَالٍ وَسَكْرَاتٍ، لَيْسَ رُؤْيَا مَنْامِيَّةً رَأَيْتُهَا، وَلَا أَضْغَاثَ أَحْلَامٍ عَايْنْتُهَا؛ بَلْ هِيَ قِصَّةٌ لِلْإِعْتِبَارِ، وَتَمَثِيلٌ لِمَا يَعْقُبُ هَذِهِ الدَّارَ.

<sup>1</sup> فَبَزَرَ بِفَصَاحَتِهِ كُلَّ مَارِيٍّ وَجَرِيرِيٍّ: بَزَرَ: أَي: غَلَبَ وَفَاقَ وَسَبَقَ، مَارِيٍّ: نَسْبَةٌ إِلَى ابْنِ مَارِيَّةَ (هُوَ أَدِيبٌ بَلِيعٌ يُدْعَى بِحُجِيِّ بْنِ سَعِيدِ الْبَصْرِيِّ ت 589هـ)، وَجَرِيرِيٍّ: نَسْبَةٌ إِلَى جَرِيرِ بْنِ

<sup>2</sup> الْمَجُونُ: الْمُسْتَهْتَرُ.

<sup>3</sup> وَضَعُ اسْمِي فِي الْبَيْتِ أَوْ فِي غَيْرِهِ لَيْسَ فِخْرُ الشُّعْرَاءِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفَخْرِ، بَلْ هُوَ "إِشْهَادٌ"؛ كَأَنَّكَ تَقُولُ: أَنَا عِصَامُ الدِّينِ سَارُوِيٌّ الْوَاقِعِ الْمَحْتَمُومِ، وَلَيْسَ كَمَنْ سَبَقُونِي بِرُؤُونِ قِصَصًا خِيَالِيَّةٍ.

<sup>4</sup> الْمَعْنَى: أَنَّ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ بِالرَّغْمِ مِنْ إِنِّي جَعَلْتُهَا فِي شَكْلِ مَقَامَاتٍ تُرَوَى بَيْنَ الْأَدْبَاءِ إِلَّا أَنَّهَا بَيِّنَةٌ فِي سِيَاقِ هَذِهِ الْمَقَامَاتِ.

فَجَعَلْتُ نَفْسِي فِيهَا بَطْلَ الرَّوَايَةِ، لِأَبْلَغِ بِكَ مَبَالِغِ الْهَدَايَةِ؛ فَإِنَّ النَّفْسَ إِذَا سَمِعَتْ خَبَرَ غَيْرَهَا  
سَلَتْ، وَإِذَا نُسِبَ الْخَبْرُ لِلْمُتَكَلِّمِ وَجَلَتْ وَتَحَلَّتْ، فَمَا هِيَ إِلَّا حَيْكَةُ ذَهْنٍ بَلِيغٍ، لِتَحْذِيرِ كُلِّ  
صَاحِبٍ هُوَ وَتَفْرِيعٍ<sup>1</sup>، وَتَقْرِيْبِ صُوْرِ الْوَعِيدِ، لِكُلِّ قَلْبٍ قَاسٍ كَالْحَدِيدِ.  
فَجَعَلْتُ كِتَابِي هَذَا فِي خَمْسِ مَقَامَاتٍ مُرْعَدَةٍ، لِلْغَافِلِينَ عَنِ أُخْرَاهُمْ مُشَدَّدَةٍ؛ فَبَدَأْتُهَا بِذِكْرِ الدُّنْيَا  
وَعُرُورِهَا، وَمَا يَغُرُّ الْمَرْءَ مِنْ دُورِهَا وَقُصُورِهَا، ثُمَّ تَنَيْتُ بِ الْقَبْرِ وَثُبُورِهِ، ثُمَّ ثَلَّثْتُ بِ الْحَشْرِ وَنُشُورِهِ،  
ثُمَّ خَتَمْتُهَا بِ التَّوْبَةِ النَّصُوحِ، ثُمَّ النَّصْحِ لِلْعَاقِلِ الطَّمُوحِ.  
فَدُونَكَ يَا صَاحِبَ هَذِهِ النُّقِيلِيَّاتِ، فِيهَا مِنَ الْهَوْلِ بَاقِيَّاتٌ وَمُبْقِيَّاتٌ، فَاشْدُدْ بِهَا يَدَيْكَ، وَأَقْبِلْ  
بِقَلْبِكَ إِلَيْهَا وَأُذُنَيْكَ، لَعَلَّكَ تَسْتَفِيْقُ مِنْ مَنَامِكَ، قَبْلَ أَنْ تُصْرَعَ بِحِمَامِكَ<sup>2</sup>.

لَيْسَتْ بِرُؤْيَةٍ أَتَتْ مَنَامِيَا \*\* وَلَا خَيَالٌ طَافَ فِي أَحْلَامِيَا  
لَكِنَّهَا قِصَّةٌ مَنْ يَعْتَبِرُ \*\* مِمَّا يَلِي هَذِي الدِّيَارَ يُحْبِرُ  
جَعَلْتُ نَفْسِي صَاحِبًا لِدَا الْخَبْرِ \*\* لِيَزْدَجِرَ ذَا سَمْعٍ أَوْ لَهُ بَصَرُ  
فَالنَّفْسُ تَهْوَى قِصَّةَ الْأَغْرَابِ \*\* وَتَرْهَبُ الْأَخْبَارَ عَنِ أَقْرَابِ  
خَمْسُ مَقَامَاتٍ لَهَا إِرْعَادُ \*\* لِمَنْ تَمَادَى لَا لَهُ تِعْدَادُ  
أَوَّلُهَا الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا غَرَرُ \*\* ثَانِيَهُمَا قَبْرٌ وَمِمَّا يُنْتَظَرُ  
ثُمَّ نُشُورُ الْحَشْرِ بَعْدَ الْمَوْتِ \*\* وَثُلُثُهَا نَصْحٌ لِقَبْلِ الْفُوتِ  
فَدُونَكُمْ نُقِيلِيَّاتُ الْوَاعِظِ \*\* هِيَ النَّجَاةُ لِلْبَيْبِ الْحَافِظِ  
فَاقْبِلْ بِلَبِّ قَبْلَ أَنْ تَنْصَرَعََا \*\* وَانْدَمْ عَلَيَّ مَا فَاتَ حَتَّى تَرْجِعَا

وكتب:

الدكتور: عصام الدين إبراهيم النقبلي

<sup>1</sup> التَّفْرِيعُ: كلمةٌ بليغةٌ لوصفِ حالِ لاهي القلب؛ فهو "فارغٌ" من معاني الإناية، أو هو "مُفَرَّغٌ" للشهواتِ فقط.

<sup>2</sup> الحمام: هو الموت.



{مَلاحِظَةُ مَنهَجيَّةٍ}

{في تَأصيلِ المَقامَةِ المَرويَّةِ}

اعلَمَ رَعَاكَ اللهُ؛ أَنَّ المَقامَةَ لَيْسَتْ مُجَرَّدَ حِكايةٍ، بَلْ هِيَ عِلْمٌ لَهُ رايَةٌ، وَفَنٌّ مُسْتَقِلٌّ في العَايةِ.  
فَهي لِسانِ صِقَالٍ، وَلِلبَيانِ عِقَالٍ، وَهي وَعاءٌ لِلعُلومِ اللُّغويَّةِ، وَخِزانَةٌ لِلمَعانيِ النَّحويَّةِ القَويَّةِ.  
أَمَّا مَوقِفُ الشَّرِيعِ الشَّرِيفِ، مِنْ هَذا الفَنِّ المَناجِغِ اللُّطيفِ؛ فَقد جَعَلَهُ مُحَمَّدًا، وَصاحِبَهُ بِالخَيْرِ  
مَوعودًا، إِذا كانَ لِلحَقِّ رَفيقًا، وَعَنِ الباطِلِ مَعزولًا وَلَيْسَ طَريقًا.  
فَلَمَّا كانَتْ مَقاماتي هَذهِ لِلمَوعِظَةِ وَالتَّذكِيرِ، لا لِلخَدِيعَةِ وَالتَّزويرِ؛ صارتَ عِبادَةٌ بِحَرفٍ، وَغايَةٌ في  
الظُّرفِ، نَرجُوا بِها الأَجورَ، مِنْ رَبِّنا العُفُورَ، فَاسْتَعَمَلْتُ سِحْرَ البَيانِ وَالكَلامِ، لِقِيادةِ الخَلقِ إِلى  
دارِ السَّلامِ، وَتَحذيرِهِمُ مِنْ مَزالِقِ الآثامِ، فَلَيتَ قَومِي يَسْتَغفِرُوا لِلعِصامِ.

فَنُ المَقاماتِ عَرِيقُ الأَصْلِ \* صَيَّرتُهُ لِلوَعظِ خَيْرُ الفَضْلِ

وعاءٌ هَذي الضَّادِ لِاسْتِبيانِ \* وَمَنهَجُ النِّجاةِ لِلإنسانِ

\*\*\*\*\*



## {المَقَامَةُ الْأُولَى}

### {المَقَامَةُ الْغَرَّارَةُ، فِي فِتْنَةِ الدَّارِ الْغَدَّارَةِ}

هَدِي الدُّنَا كَاذِبَةٌ غَرَّارَةٌ\*\* فَاخْذَرْ أَخِي فَإِنَّهَا غَدَّارَةٌ  
تَزْهُوا بِاللَّوَانِ لِكُلِّ غَافِلٍ\*\* لَكِنَّهَا فِي أَصْلِهَا بِنَّارَةٌ

حَكَى عِصَامُ الدِّينِ بِنُ إِبرَاهِيمَ النَّقِيلِي التَّائِبِ، الْقَالِعِ عَنِ الذُّنُوبِ وَالْمُعَائِبِ، قَالَ:

لَمَّا غَرَّتْنِي الدُّنْيَا بِزُخْرُفِهَا، وَمَشَيْتُ فِي مَوَاكِبِ لَدَائِمِهَا، وَأَنْسَانِي الْهَوَى سَبَبَ وُجُودِي، وَغَرَّتْنِي  
الشَّيْطَانُ بِالْأَمَانِي وَالْوَعُودِ، فَقَدْ كُنْتُ أَرَى الْقُصُورَ فَيُبْهَرُنِي بِهَاؤُهَا، وَأَلْبَسُ الدِّيْبَاجَ فَيَسْحَرُنِي  
سَنَاؤُهَا، وَخَلْتُ أَنَّ الْأَيَّامَ طَوْعُ بِنَانِي، وَأَنَّ الزَّمَانَ قَدْ نَسِيَ عِنَوَانِي، فَأَسْرَفْتُ فِي الْمَلَاذِ  
وَالشَّهَوَاتِ، وَغَفَلْتُ عَنِ انْصِرَامِ السَّاعَاتِ، وَتَبَحَّرْتُ فِي الْمَعَاصِي دُونَ مَانِعٍ، بِسَهْرَاتٍ مَعَ  
الْقَيْنَاتِ فِي الْمَزَارِعِ، فَجُورًا وَفِسْقًا مَالَهُ مِنْ رَادِعٍ، فَجَمَعْتُ بَيْنَ صَفْقِ الرَّاحِ<sup>1</sup>، وَغَفَلَةَ الْغُدُورِ  
وَالرَّوَاخِ، وَظَنَنْتُ أَنَّ لَيْلِي لَيْسَ لَهُ صَبَاحٌ!

فَكُنْتُ أَتَخَيَّرُ مِنَ الْمَزَارِعِ أَنْضَرَهَا، وَمِنَ الْمَجَالِسِ أَفْخَرَهَا، حَيْثُ تَمَيَّسُ الْأَشْجَارُ<sup>2</sup>، وَتَعْرِفُ الْأَطْيَارُ،  
وَتَجْرِي مِيَاهُ الْأَنْهَارِ! فَكُنْتُ أَتَصَدَّرُ الْمَحَافِلَ، وَأَسْتَهْرِي بِالْقَافِلِ، وَأَقُولُ لِنُدَمَائِي وَهُمْ حَوْلِي  
عُكُوفٌ: «تَمَتَّعُوا فَمَا لِلذَّاتِنَا كُسُوفٌ، وَلَا لِعَيْشِنَا عُصُوفٌ<sup>3</sup>!» فَكَمْ مِنْ لَيْلَةٍ فَضَيْتُهَا فِي الطَّرْبِ،  
وَقَلْبِي عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ فِي هَرَبٍ، أَظُنُّ أَنَّ الْعِزَّ دَائِمٌ، وَأَنَّ الْقَدَرَ عَنِّي نَائِمٌ.

<sup>1</sup> الراح: اسم من أسماء الخمر، والصفق الضرب الذي يحدث صوتًا، والمعنى: جمعت بين ضرب كؤوس الخمر ببعضها مع الندماء.

<sup>2</sup> تَمَيَّسُ الْأَشْجَارُ: التمايل والتبختر: "ماس" الغصن إذا تمايل بميناً وشمالاً بلبين ورقة. وفي مقامتك، يصور هذا التعبير مشهد المزرعة الغناء حيث الأشجار نضرة، تداعبها النسيمات فتمايل أغصانها كأنها تتبختر بجمالها أمامك.

<sup>3</sup> العصوف: مصدر عصف، من عصفت الريح، والمعنى: أن عيشنا مستقر وهادئ، لا تهره رياح القدر ولا تنغصه كوارث الدهر، وهو من باب. الغرور بالأمان الزائف.

فَأَمَرْتُ بِالْفُرْشِ الْوَثِيرَةِ، وَالْمَاكِلِ الْكَثِيرَةِ، وَجَعَلْتُ الْمَالَ خَادِمِي، وَالشَّيْطَانَ نَدِيمِي وَنَادِمِي<sup>1</sup>،  
وَنَسِيتُ أَنَّ الْأَنْفَاسَ مَعْدُودَةٌ، وَأَنَّ الْأَجْسَادَ لِلدُّودِ مَوْعُودَةٌ.  
فَأَقَمْتُ بَيْنَ الْكَرْمِ وَالْقُطُوفِ، وَدَانْتُ لِي الْأَمَانِي بِصُنُوفِ الظُّرُوفِ<sup>2</sup>، فَكُنْتُ إِذَا اشْتَهَيْتُ نَلْتُ،  
وَإِذَا أَمَرْتُ فَمَا خَلْتُ أُنِّي عَنِ الْعِزِّ مَلْتُ! فَجَعَلْتُ الرَّاحَ<sup>3</sup> لِي دَيْدَنًا، وَالغَطْرَسَةَ لِقَلْبِي مَوْطِنًا، فَمَا  
رَأَيْتُ فَوْقِي كَبِيرًا، وَلَا حَسِبْتُ لِحَالِي تَغْيِيرًا.  
فَكَمْ بَنَيْتُ مِنَ الْأَمَالِ قُصُورًا، وَكَمْ حَفَرْتُ فِي بَحْرِ الْأَوْهَامِ بُحُورًا! فَصِرْتُ كَمَنْ سَكَرَ بِلَا حَمْرٍ،  
وَعَابَ عَنِ رُؤْيَا نَهَائِيَةِ الْأَمْرِ، أَقْلِبُ الطَّرْفَ فِي قَيْنَاتِي وَخُدْمِي، وَأَطْنُ أَنَّ الْخُلُودَ قَيْدُ السُّمِّي! فَمَا  
نَفَعَنِي ذِكَاؤُ، وَلَا دَفَعَ عَنِّي ثَرَاءُ، بَلْ زَادَنِي فِي الطُّغْيَانِ مَدَى، وَأَوْرَدَنِي مَوَارِدَ الرَّدَى.  
وَبَيْنَمَا أَنَا فِي سَكْرَةِ هَذَا الْفُجُورِ، وَقَلْبِي بِغُرُورِ الْعَاجِلَةِ مَسْحُورٍ، إِذَا بِهَاتِفٍ يَصِيحُ بِي مِنْ بَعِيدٍ،  
وَصَوْتُهُ يَهْزُ الْقَلْبَ الْعَنِيدُ:  
أَيَا نُقَيْلِي؛ أَهَذَا تَقْضِي الْعُمُرُ؟ وَعَنْ حِيَاضِ الْمَنَايَا تَسْتَتِرُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْمَوْتَ يَرْصُدُ الْخَطِيءَ؟  
وَأَنَّ الثَّرَى لِلْأَجْسَادِ هُوَ الْمَغْطَى؟  
فَمَا أَعْرَثُهُ مِنْ بَالِي، وَاسْتَمَرَّرْتُ فِي عِزَّةٍ لَا أَبَالِي، وَطَالَتْ سَهْرَاتُ اللَّيَالِي، فَاسْتَحَبَبْتُ الْعَمَى عَلَى  
الهُدَى، وَبَعْتُ الْآخِرَةَ بِثَمَنِ رَدَى، وَقُلْتُ لِنَفْسِي: دُوْنِي وَبَيْنَ الْمُنُونِ مَدَى! فَأَمَعَنْتُ فِي غِيِي،  
وَأَسْرَفْتُ فِي لِيِي<sup>4</sup>، حَتَّى أَحَطْتُ نَفْسِي بِالْأَسْوَارِ، وَظَنَنْتُ أُنِّي بِمِنَايَ عَنِ الْأَفْدَارِ.  
فَمَا زِلْتُ أَقَارِعُ الْكُؤُوسَ، وَأَبِيعُ لِلشَّيْطَانِ النَّفُوسَ، فَمَا تَوَانَيْتُ عَنْ مُنْكَرٍ إِلَّا فَعَلْتُهُ، وَمَا لِهَذَا

<sup>1</sup> النديم: هو المشارك في الخمر أو الساقى، ونادمي: أردت أن الشيطان جعل البطل يندم.

<sup>2</sup> الكرم: هو العنب، والقطوف: هي الثمرة التي حان قطافها، والظروف جمع ظرف: وهو الوعاء، القصد البلاغي: (وَدَانْتُ لِي الْأَمَانِي بِصُنُوفِ الظُّرُوفِ)؛ أي أن كل ما كنت تتمناه من ملاذ الدنيا قد أتاك "مُعَلَّبًا" ومُهَيَّأً في شتى أنواع الأوعية والأشكال، والدنيا قدمت لك شهواتها في "ظروف" (أوانٍ) من ذهب وفضة وفخار، فكنت تختار منها ما تشاء.

<sup>3</sup> الراح: الخمر.

<sup>4</sup> اللِّي: هو الإعوجاج، ويأتي بمعنى: التسوية، فعلى الأول المعنى: أسرفت في اعوجاجي ولحافي، وعلى الثاني: أسرفت في التسوية بالتوبة.

الآبق<sup>1</sup> ما يَمْنَعُهُ، فَصَمَمْتُ عَنِ النَّاصِحِ أُذُنِي، وَجَعَلْتُ الْمَعْصِيَةَ دَيْدِنِي وَفَنِّي، وَقُلْتُ: مَنْ أَشَدُّ مِنِّي مَنَعَةً وَبَأْسًا؟ وَأَطُولُ مِنِّي فِي الْمَلَادِ أَنْفَاسًا؟ فَاسْتَوَلَى عَلَيَّ رَأْنُ الْقُلُوبِ، وَأَنْسَانِي شَوْمُ الْكُرُوبِ، حَتَّى كُنْتُ كَمَنْ يَخْفِرُ لِحَدِّهِ بِيَدِهِ، وَيُضِيعُ يَوْمَهُ فِي انْتِظَارِ غَدِهِ، وَكُنْتُ تَارَةً أَذْكَرُ الْهُدَى فَأَنْحِي، لِكِنِّي سُرْعَانَ مَا أَنْشِي، فَكُنْتُ بَيْنَ لَمَعَةِ ضَمِيرٍ تَحْبُو، وَنَزْوَةِ شَيْطَانٍ تَرُبُو، أَفُومٌ بِخُطْوَةٍ نَحْوِ الْمَتَابِ، ثُمَّ أَنْكَصُ عَلَى عَقْبِي لِلصَّعَابِ! فَمَا انْحَيْتُ إِلَّا لِأَزْدَادِ طُغْيَانًا، وَمَا ذَكَرْتُ الْهُدَى إِلَّا لِأُنْسِيهِ نِسْيَانًا، حَتَّى كَأَنَّ الْقَلْبَ صَخْرٌ صَلْدٌ، لَا يَلِينُ لَوْعِدٍ وَلَا يَوَعِدُ يَرْتَعِدُ!

فَصِرْتُ أَسْوَفُ التَّوْبَةِ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ، وَأَغْرَقُ فِي لُجَّةِ الْعَفْلَةِ كَأَنِّي فِي نَوْمٍ! أَقُولُ: «غَدًا أُصَلِّي، وَغَدًا عَنِ الْمَعَاصِي أُخَلِّي»، وَمَا عَلِمْتُ أَنَّ «غَدًا» لِلْمَنَايَا مِلْكٌ، وَأَنَّ التَّسْوِيفَ لِلْأَعْمَارِ هَلْكٌ.

فَكَمْ مِنْ رَمَضَانَ مَرَّ وَأَنَا فِي هُيُوي، وَكَمْ مِنْ جُمُعَةٍ انْقَضَتْ وَأَنَا فِي زَهْوِي! كُنْتُ أَرَى جَنَائِزَ الشَّبَابِ تُزْفُ إِلَى التَّرَابِ، فَأَقُولُ: «مَا زَالَ لِي فِي الدُّنْيَا مَتَابٌ»، حَتَّى صَارَ ذِكْرُ الْمَوْتِ عِنْدِي كَأَسْطُورَةً، وَرُؤْيَا الْقُبُورِ نُزْهَةً مَحْظُورَةً.

فَأَمَعَنْتُ فِي الْإِسْتِخْفَافِ بِالذَّنْبِ، وَقَسَوْتُ حَتَّى نُرِعَ الرُّعْبُ مِنَ الْقَلْبِ! فَمَا عُدْتُ أَفْرَقَ بَيْنَ حَالِلٍ وَحَرَامٍ، وَلَا أَخْشَى مَصِيرًا بَيْنَ الرَّغَامِ<sup>2</sup>، بَلْ ظَلَلْتُ أَمْدًا لِلشَّيْطَانِ يَدِي، وَأَبْنِي لِعَدِي مَا يَهْدِمُ جَسَدِي.

فَكُنْتُ إِذَا لَاحَ فِي مَفْرَقِي شَيْبٌ نَتَفْتُهُ، وَإِذَا نَادَانِي نَاصِحٌ عَنِ الْعِيِّ عَنَّفْتُهُ! وَقُلْتُ لِقَلْبِي: «مَا زَالَ الصَّبَا فِينَا فِتْيَا، وَمَا كَانَ عَيْشُنَا إِلَّا بَهِيًّا!» فَأَوْهَمْتُ نَفْسِي بِأَنَّ الْمُنُونَ لِلْآخِرِينَ، وَأَنَّنِي فِي حِصْنٍ مَنِيْعٍ مِنَ الْغَابِرِينَ.

فَكَمْ لَيْلَةً بَيْنَ الْكُرْمِ وَالْعِنْبِ، وَقَدْ غَابَ عَنِّي لَهْبُ الْعَتَبِ! أَنْظِرْ إِلَى صَحْبِي وَخَدَمِي، فَأَظُنُّ أَنَّ الْعِزَّ لَنْ يَنْحِي مِنْ قَدَمِي! فَصِرْتُ كَالسَّاهِي فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ، لَا يَرَى الْمَوْجَ وَهُوَ يَدْنُو مِنَ الْقَهْرِ.

<sup>1</sup> الآبق: العبد العاق أو الهارب من سيده.

<sup>2</sup> الرِّغَام: هو التراب، والمعنى، ما عدت أخاف مصيري حين أوضع تحت الرغام (التراب)

فَجَمَعْتُ بَيْنَ خِيَلَيْهِ الثِّيَابِ، وَإِضَاعَةِ الصَّوَابِ، وَجَعَلْتُ الْمَالَ رَبًّا يُعْبَدُ، وَظَنَنْتُ أَنَّ نَعِيمِي لَنْ  
يَنْفَدَ! حَتَّى صَارَ الذَّنْبُ عِنْدِي كَالذُّبَابِ، لَا أَحْشَى لَهُ حِسَابًا وَلَا عِقَابًا، بَلْ ظَلَلْتُ فِي بَحْرِ  
الْأَمَانِيِّ أَعُومُ، وَعَنْ حَقِيقَةِ الرَّحِيلِ أَصُومُ.

وَبَيْنَمَا أَنَا فِي هَذَا الْمَدِّ وَالْجُرْرِ، وَالْعُمُرُ يَنْفَدُ وَلَا بَقِيَّةَ لِي مِنَ الدُّخْرِ، إِذَا بِيَدِ الْقَدْرِ تَمْتَدُّ لَتَقْطَعُ  
الْأُوتَارَ، وَتُوقِظَ الْغَافِلَ مِنْ سَكْرَةِ الدَّارِ...

حَتَّى إِذَا بَلَغَ الطُّغْيَانُ مَدَاهُ، وَنَسِيَ الْعَبْدُ مَوْلَاهُ، وَإِذَا بِي فِي لَيْلَةٍ لَيْلَاءٌ<sup>1</sup>، لَا نُورَ فِيهَا وَلَا ضِيَاءَ،  
أَحْسَسْتُ بِبَرْدٍ يَسْرِي فِي الْأَطْرَافِ، وَرُغْبٍ لَا تُدْرِكُهُ الْأَوْصَافُ، وَأَحْسَسْتُ بِالنُّعَاسِ، وَضَاقَ بِي  
الْإِحْسَاسُ، وَتَقَطَّعَتِ الْأَنْفَاسُ، فَذَهَبْتُ لِأَعْتَفِي، لَعَلِّي فِي الصَّبَاحِ أَعْتَفِي، فَوَضَعْتُ جَنْبِي عَلَى  
الْوَهَادِ<sup>2</sup>، وَظَنَنْتُ أَنِّي سَأَلَقَى الرَّقَادَ، فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ أَعْمَضْتُ الْعَيْنَ، حَتَّى انْقَطَعَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ  
الْعَالَمِينَ.

فَلَا صَبَاحُ أَسْفَرٍ، وَلَا ضِيَاءُ بَشَرٍ، بَلْ صَمْتُ رَهيبٍ، وَمَكَانٌ غَرِيبٍ، وَجَسَدٌ بَيْنَ الثَّرَى سَلِيبٍ!  
فَنَادَيْتُ: أَيْنَ الْمَزَارِعُ وَالْقَبِينَاتُ؟ وَأَيْنَ اللَّدَّاتُ وَالسَّهْرَاتُ؟ فَلَمْ أَجِدْ إِلَّا جُدْرَانَ حُدَيْ، وَمَا قَدَّمْتُهُ  
لِنَفْسِي مِنْ بَعْدِي.

عَرَّتْنِي الدُّنْيَا بِزَيْفِ زَهْرَةٍ \* نَسِيتُ أَنَّ الْمَوْتَ رَدْفَ حُطُوتِي

فَصِرْتُ مِنْ بَعْدِ الْقُصُورِ لِلثَّرَى \* يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تُفِيدُ حَسْرَتِي

وَالْقَبْرِ صَارَ مَوْطِنًا لِعُرْبَتِي \* وَبْتُ فِيهِ رَهْنَ ضَيْقِ حُفْرَتِي

صَاعَ الْأَنْبَسِ وَأَنْقَطَعْتُ لِلْجَزَا \* يَا رَبِّ سِتْرًا حِينَ يَوْمِ بَعْتِي

\*\*\*\*\*

<sup>1</sup> اللَّيْلَاءُ: هِيَ صِفَةٌ مُشْتَقَّةٌ مِنْ "اللَّيْلِ"، وَتُسْتَحْدَمُ لـ "التوكيد".

يقولُ العرب: (لَيْلَةٌ لَيْلَاءٌ) كما يقولون: (يَوْمٌ أَيُّومٌ) و(ظِلٌّ ظَلِيلٌ)؛ أَي لَيْلَةٌ بَلَغَتِ الْغَايَةَ فِي صِفَاتِ اللَّيْلِ مِنْ سَوَادٍ حَالِكٍ  
وظُلْمَةٍ تَامَّةٍ.

<sup>2</sup> تُسْتَحْدَمُ أحياناً لوصف الفراش المنخفض الوثير، فكأنك وضعت جنبك على فراشك (الوهاد) تظنه راحة، فإذا هو قيرك  
المنخفض.

## {المَقَامَةُ الثَّانِيَةُ}

### {المَقَامَةُ اللّٰحْدِيَّةُ، فِي أَهْوَالِ البَرَزِخِ وَالوَحْدِيَّةِ}

فِي القَبْرِ أَهْوَالٌ وَضِيقٌ مَهْجَعٌ \*\* فَافْطَنُ أَخِي فَمَا لَنَا مِنْ مَرْجِعِ  
تَهَجَّرَتْ دُنْيَاكَ، وَاسْتَفْرَزَتْ فِي \*\* ثَرَى، وَخَلَّوْكَ بِقَبْرِ يَفْجَعِ

حَكَى عِصَامُ الدِّينِ بِنُ إِبرَاهِيمِ النَّقِيلِي، القَائِمُ بَيْنَ يَدَيِ المَلِكِ الجَلِيلِ، قَالَ:

بَعْدَمَا أَغْمَضْتُ العَيْنَ لِأَعْتَفِي<sup>1</sup>، وَظَنَنْتُ أَنِّي مِنَ الكُرُوبِ سَأَكْتَفِي، فَمَا إِنْ أَتَانِي النُّعَاسُ، حَتَّى  
ذَهَبَ عَنِّي الإِحْسَاسُ، وَظَنَنْتُ أَنِّي فِي النَّهَارِ أُسْتَفِيقُ، وَأَبْرَأُ بَعْدَ هَذَا النَّوْمِ العَمِيقِ، لَكِنْ مَا  
اسْتَفَقْتُ مِنْ غَفَوْتِي، وَلَا انْتَهَيْتُ مِنْ خَلَوْتِي، حَتَّى وَجَدْتُ النَّفْسَ فِي ضِيقٍ شَدِيدٍ، وَظُلْمَةٍ لَا  
يَنفُذُ إِلَيْهَا حَدِيدًا! فَلَمَسْتُ يَمِينِي فَإِذَا هُوَ تُرَابٌ، وَلَمَسْتُ شِمَالِي فَإِذَا هُوَ خَرَابٌ، وَنَادَيْتُ  
صَاحِي فَمَا جَاءَنِي جَوَابٌ.

أَيْنَ الأَقْيِنَاتُ؟ أَيْنَ مَا كَانَ مِنَ السَّهَرَاتِ؟ أَيْنَ أَنَا؟ مَا هَذَا المَكَانُ؟ أَيْنَ النُّجُومُ والأَكْوَانُ؟ يَالَهُ مِنْ  
حُلْمٍ مُخِيفٍ...، نَعَمْ: إِنَّمَا هِيَ آثَارُ القِدَاحِ وَبَرْدُ الخَرِيفِ، أَوْ أَنَّهَا مُرَحَّةٌ مِنْ نَدِيمِي، يُرِيدُ تَشْوِيشَ  
نَوْمِي العَمِيمِ.

فَنَادَيْتُ فِي العَتَمَةِ بِصَوْتٍ ذَلِيلٍ: يَا مَنْ كَانَ لِي فِي اللُّهُوِ خَلِيلٍ، أَيْنَ الرِّيحُ وَالتَّعْلِيلُ؟<sup>2</sup> فَلَمْ يُجِبْنِي  
إِلَّا صَدَى الجُدْرَانِ، وَرِيحُ حَفْرَةِ وَالهَوَانِ.

أَيَقْظُونِي مَا هَذَا بِالمُزَاحِ، وَصُبُّوا لِي رَحِيقَ الرِّيحِ...، فَلَا جَوَابَ وَلَا خِطَابَ، فَصَرَخْتُ حَتَّى  
تَقَطَّعَتْ بِي الأَسْبَابُ، فَتَأَمَّلْتُ عَن كَثْبٍ، فَلَمْ أَجِدْ غَيْرَ التُّرْبِ، وَأَيَقَنْتُ أَنِّي لَسْتُ نَائِمًا، وَلَا فِي  
بُحُورِ الحُلْمِ عَائِمًا...، يَا وَيْلَتِي مَا هَذَا المَكَانُ؟ وَمَا هَذَا اللَّبَاسُ أَيْنَ الأَلْوَانُ؟ لِباسٌ أبيضٌ كَأَنَّهُ  
كَفَنٌ؟ وَرِيحٌ مِنْ حَوْلِي كَأَنَّهُ عَفْنٌ، فَحَاوَلْتُ أَنْ أَقُومَ فَمَا اسْتَطَعْتُ، وَصَرَخْتُ بَمَنْ حَوْلِي فَمَا

<sup>1</sup> أعتفي: أطلب العافية.

<sup>2</sup> التعليل: التلهي، والاشتغال بالشيء، ويُقال "علل صبيته بالطعام" أي شغله به ليسكت عن البكاء.

سَمِعْتُ! فَجَعَلْتُ أَخِيطُ بِيَدِي يَمِينًا وَشِمَالًا، وَأَبْحَثُ عَنْ مَخْرَجِ كَانٍ مُحَالًا، فَمَسَسْتُ سَقْفِي فَإِذَا هُوَ  
لَبَنٌ مَرْضُوصٌ، وَجَسَدِي فِي جَوْفِ الْأَرْضِ مَعْضُوصٌ<sup>1</sup>.

فَقُلْتُ: يَا نَفْسُ، أَيَّنَ الرِّيَّاحِينَ وَالْعُطُورِ؟ وَأَيَّنَ الْمَجَالِسِ وَالْحُبُورِ؟ لَقَدْ اسْتَبَدَلْتَ بِالْمِسْكِ رِيحَ  
الرَّمِيمِ<sup>2</sup>، وَبِالنَّعِيمِ هَبَّ الْجَحِيمِ!

شَمَمْتُ بَعْدَ الْمِسْكِ رِيحَ الرَّمْسِ \*\* وَذُقْتُ حَبْسِي بَعْدَ طِيبِ الْأُنْسِ  
وَبَدَّلَ الرِّيْحَانَ بِالصَّخْرِ الَّذِي \*\* رُصَّتْ صَلُودُهُ<sup>3</sup> بِضَيْقِ الْمَنْفَعِدِ  
غَابَ الضِّيَاءُ وَأَنْطَفَتْ أَشْمَاسِي \*\* بِالضُّلْمَةِ الْكُبْرَى وَكَرَبِ قَاسِي  
هَوَى بَنَانِي<sup>4</sup> وَارْتَقَى عَنِّي بَيَانِي<sup>5</sup> \*\* وَأَنْقَطَعَتْ بِي حُجَّةُ الْإِنْسَانِ

\*\*\*\*\*

<sup>1</sup> مغصوص: مشتقة من الغصّة، والغصّ، الأول: هو الذي وقف الشيء في حلقه، والثاني: هو الغمّلاء، تقول: غصّ البيت بأهله، وفي السياق: غصّ الجسد في القبر من ضيقه.

<sup>2</sup> كلمة الرميم تُطلق على العظام البالية المتفتتة.

<sup>3</sup> الصلُود: جمع صلد: وهو: الصخر الأملس.

<sup>4</sup> البَنَان: هي أطراف الأصابع، أو الأصابع كُلِّها، وقد يرد بالبنان الجسم كله، من باب ذكر الجزء وإرادة الكل.

<sup>5</sup> البَيَان: هو المنطق الفصيح، والقدرة على الإفصاح عما في النفس بوضوح.

## {مَشْهُدُ}

### {قَرَعِ النَّعَالَ، وَانْقِطَاعِ آخِرِ حِبَالِ الْوِصَالِ}

سَمِعْتُ قَرَعَ نَعْلَ صَاحِبِي يَخْتَفِي \* \* وَعَابَ عَنِّي بَعْدَ عِزِّي مَسْعَفِي<sup>1</sup>  
فَأَسْلَمْتُ لِلرَّمْسِ نَفْسِي وَانْطَفَى \* \* رَجَاءُ قَلْبٍ بِالذُّنُوبِ مُرْجَفٍ<sup>2</sup>

وَبَيْنَمَا أَنَا فِي كَرْبٍ، أُخَاطِبُ نَفْسِي بِالْعُتْبِ، فَإِذَا بِي أَسْمَعُ قَرَعَ النَّعَالَ وَهِيَ تَبْتَعِدُ، وَقَلْبِي لَوْفِعِهَا  
يَرْتَجِفُ وَيَرْتَعِدُ! نَادَيْتُهُمْ فِي سِرِّي: «يَا مَنْ أَوْدَعْتُمُونِي الْفَقْرَ، وَتَرَكْتُمُونِي لِلضَّبِيقِ وَالْقَهْرِ، أَيْنَ  
الْمَوَدَّةُ الَّتِي كُنْتُمْ تَرَعُمُونَ؟ وَأَيْنَ الصُّحْبَةُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تَفْخَرُونَ؟» فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَّا صَمْتُ الْقُبُورِ،  
وَإِدْبَارُ مَنْ كَانَ بِالْأَمْسِ مَسْرُورًا.

فَأَيَقَنْتُ حِينَهَا أَنَّ بَيْنَ الْجَسَدِ وَالْأُودِ مَوْعِدَةٌ! فَلَا أُنِيسَ فِي الْوَحْدَةِ، وَلَا نَاصِرَ فِي هَذِهِ الشِّدَّةِ،  
إِلَّا مَا حَمَلْتُهُ مِنْ زَادٍ قَلِيلٍ، لِسَفَرٍ مَدِيدٍ وَثَقِيلٍ، وَاسْتَيْقَنْتُ أَنَّ فِي قَبْرِي، وَلَا لِي الْيَوْمَ مِنْ عُدْرٍ.  
فَجَعَلْتُ أَتَلَفْتُ كَالْمَدْعُورِ، وَأَبْحَثُ عَنْ كَوَّةٍ لِلنُّورِ، فَلَمْ أَجِدْ إِلَّا رِدَاءً مُكْفَنًا، وَمَكَانًا بِالْوَحْشَةِ  
مُبْطَنًا! فَنَادَيْتُ: يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ حَيَاتِي، وَيَا لَيْتَنِي مَا فَرَطْتُ فِي صَلَاتِي.  
وَرَاخَتْ أَيَّامُ السَّهَرَاتِ، وَانْتَهَتْ الْحَفَلَاتُ، وَمَا عَادَ لِي مِنْ صَاحِبٍ وَلَا قَيْنَاتٍ، فَمَا عَادَ قَدْحُ  
يُدَارِ، وَلَا قَيْنَةٌ تُرِيْلُ الْأَكْدَارِ، بَلْ أَنَا وَحْدِي بَيْنَ الْأَحْجَارِ.  
فَعَلِمْتُ أَنَّ الْحَيْلَ قَدْ انْقَطَعَتْ، وَأَنَّ حِبَالَ الدُّنْيَا قَدْ انْتَرَعَتْ! فَنَادَيْتُ بِأَعْلَى الصَّوْتِ: يَا مَنْ  
كَانُوا لِي فِي الدُّنْيَا نِعَمَ الْعَوْنِ، أَهْكَذَا تَتْرَكُونَنِي لِظُلْمَةِ هَذَا الْكَوْنِ؟

<sup>1</sup> مَسْعَفِي: من الإِسْعَافِ، والمُسَاعَدَةِ، وهو مصدر أو مكان الإِسْعَافِ، ويُقصد به، من يُسْعَفِي.

<sup>2</sup> كلمة "مُرْجَفٍ" مشتقة من الرَّجْفَةِ، وهي الاضطراب الشديد والتحرك العنيف.

سَمِعْتُ قَرَعًا لِنَعَالٍ تَبْتَعِدُ \*\* وَقَلْبِي الْمَكْرُوبُ مِنْهَا يَرْتَعِدُ  
أَوْدَعْتُمُونِي الْقَفْرَ بَيْنَ الرَّامِسِ \*\* لَا صَاحِبٌ يُنْجِي بِهِ ذَا الْمَجْلِسِ  
أَيْنَ الصَّحَابُ أَيْنَ مَنْ قَدْ زَعَمُوا \*\* مَوَدَّةً، هَيْهَاتَ: مِنِّي أَسْلَمُوا  
رَاحَتْ لِيَا لِي اللّهُوَ مَعَ قَيْنَاتِهَا \*\* بَقَتْ دِيَارُ الْهُونِ مَعَ حَسْرَاتِهَا  
صِرْتُ وَحِيدًا فَوْقَ فَرْشِ التُّرْبِ \*\* لَا حِيلَةَ تُنْجِي وَلَا مِنْ مَهْرَبِ  
يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ قَبْلَ الْفَوْتِ \*\* صَلَاتِي الْعُظْمَى لِقَبْلِ الْفَوْتِ

\*\*\*\*\*

## {مَشْهُدُ}

{مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ، وَدَهْشَةِ الْعَبْدِ عَنِ التَّذْكِيرِ}

مَاذَا تَقُولُ فِي سُؤَالِ الْمَلِكِ \*\* مَنِ رَبُّكَ الْيَوْمَ بَدَارِ الدَّرَكِ؟

مَا دِينُكَ الْيَوْمَ وَمَنْ مَوْلَاكَ؟ \*\* أَيْنَ الَّذِي بِاللَّهُوِ قَدْ أَغْوَاكَ؟

وَبَيْنَمَا أَنَا فِي رَوْعِي وَارْتَجَافِي، وَقَلْبِي يَنْبِضُ بِلَا تَكْأَفِي، إِذَا بِقَبْرِي يَنْشَقُّ عَنْ هَوْلٍ عَظِيمٍ، وَبَرَزَ لِي مَلَكَانِ بِصَوْتِ الرَّعْدِ الْوَلِيمِ<sup>1</sup>، مَلَكَانِ أَهْوَلَانِ، أَرْزَقَانِ أَنْوَرَانِ<sup>2</sup>، لَا يَرْحَمَانِ دَمْعَةً بَاكِ، وَلَا يَهَابَانِ صَوْلَةَ فَتَاكِ.

أَعْيُنُهُمَا كَقُدُورِ النَّحَاسِ الْمُسْتَعْرَةِ، وَأَصْوَاتُهُمَا كَالرَّعْدِ فِي الْقَفْرِ! يَفْحَصَانِ الْأَرْضَ بِأَنْبِيَاهِمَا فَحْصَاءً، وَيَهْزَانِ الْجَسَدَ الْمَذْعُورَ رَقْصَاءً، بِيَدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِطْرَقَةٌ مِنْ حَدِيدٍ، لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ لَمَادَ وَصَارَ لِقَرْبَةِ الصَّدِيدِ.

فَأَجْلَسَانِي بِانْتِهَارٍ، وَأَحَاطَا بِي كِاحَاطَةِ السِّوَارِ، فَانْعَقَدَ لِسَانِي عَنِ الْكَلَامِ، وَتَشَبَّكَتْ عِظَامِي مِنْ شِدَّةِ الْارْتِطَامِ

فَانْخَلَعَ لَهْوُهُمَا فُؤَادِي، وَخَانِي فِي الْمَقَالِ اعْتِيَادِي! فَإِذَا بِهِمَا قَدْ انْتَهَرَانِي، وَبَعَيْنَيْنِ كَالشُّهْبِ نَظْرَانِي، وَقَالَ بِصَوْتٍ يَرِلُّ لَهُ الصَّخْرُ الصَّلِيدُ: قُمْ يَا هَذَا لِلْحِسَابِ الْعَتِيدِ<sup>3</sup>.

فَأَقْعِدْتُ وَأَنَا أَرْتَعِدُ كَالسَّعْفَةِ<sup>4</sup>، وَقَدْ غَابَتْ عَنِّي كُلُّ مَعْرِفَةٍ، وَطَاشَ لِي، وَعَظَمَ كَرْبِي، وَأَيَّقَنْتُ أَنَّ الْمَسْئُولَ مَنْسِيٍّ، وَأَنَّ الْمَوْقِفَ جِدُّ قَسِيٍّ.

<sup>1</sup> الهزيم: هو صوت الرعد القوي.

<sup>2</sup> في هذا السياق كلمة: أنوران تشير إلى: السطوع الحاد المفرغ، أي: زرقعة ساطعة.

<sup>3</sup> العتيد: هو الحاضر، والمهيب، قم للحساب العتيد: أي: قم للحساب المهيب الذي هبى لك.

<sup>4</sup> السعفة: غسن النخيل.

فَجَعَلْتُ أَرْوْمَ النُّطْقِ فَلَا أَيْنَ، وَكَأَنَّ عَلَى ثَغْرِي صَخْرًا مَتِينًا! فَذَكَرْتُ مَا كَانَ مِنِّي فِي لَيْالِي الْمَزَارِعِ،  
وَكَيْفَ كُنْتُ لِذَاعِي الْهُدَى غَيْرَ طَائِعٍ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: يَا وَيْحَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ! أَبْنَمِ أَكْلَ الْحَرَامِ،  
وَلِسَانَ غَرَقٍ فِي الْآثَامِ، أَرْجُو النَّجَاةَ وَالسَّلَامَ؟

فَإِذَا بِالْمَلَكَيْنِ يَنْتَهَرَانِي أَنْتَهَارًا، وَيَبْزُجْرَانِي زَجْرًا صَارًا، وَقَالَا: "أَنْطِقْ بِمَا كُنْتَ تَعْتَقِدُ، قَبْلَ أَنْ تَصِيرَ  
لِلنَّارِ كَالْمُحْتَفِدِ"<sup>1</sup> فَانْهَلْتُ عَبْرَاتِي، وَتَزَاوَحَتِ حَسْرَاتِي، وَتَمَنَيْتُ لَوْ أَيْ كُنْتُ تُرَابًا، وَلَمْ أَلْقَ الْيَوْمَ  
حِسَابًا.

فَجَعَلْتُ أَرْوْمَ الْحَرْفِ فَلَا أَجْدُهُ، وَأَطْلُبُ الْقَوْلَ فَلَا أَعْهَدُهُ! فَكَأَنَّ لِسَانِي مَعْقُودٌ بِأَغْلَالِ الْآثَامِ،  
وَكَأَنَّ ذَاكِرَتِي مَحْوٌ مِنَ الْأَوْهَامِ، فَقُلْتُ بِصَوْتٍ مُنْكَسِرٍ حَزِينٍ: "هَا.. هَا.. لَا أَدْرِي!", فَإِذَا  
بِالصَّرْخَةِ تَمَزَّقَ صَدْرِي.

فَنَادَى الْمَلَكَانِ بِصَوْتٍ كَالصَّاعِقَةِ: "لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ!", ثُمَّ أُذِنَ لِلْقَبْرِ فَاَنْضَمَّ حَتَّى انْطَوَيْتُ.  
فَإِذَا بِي بَيْنَ مَطَارِقِ السَّجَّيْلِ، وَنَارٍ لَا تَعْرِفُ الْمَقِيلَ! فَصَارَتْ تِلْكَ الْمَزَارِعُ حُفْرَةً مِنَ التَّيْرَانِ،  
وَتَبَدَّلَتِ الْقَيْنَاتُ بِعَقَارِبٍ وَتُعْبَانٍ، تَنْهَشُ جَسَدِي اللَّصِيقَ، وَتَسْقِينِي مِنْ هَوْلِ الضِّيقِ.  
فَلَمَّا عَجَزْتُ عَنِ التَّبْيِينِ، وَضَاعَ مِنِّي مِفْتَاحُ الْيَقِينِ، رُفِعَتْ عَلَيَّ مَرَازِبُ<sup>2</sup> مِنْ حَدِيدٍ، لَهَا وَقَعٌ  
يُذِيبُ الْوَرِيدَ! فَضَرَبُونِي ضَرْبَةً صَرَّخْتُ لَهَا صَرْخَةً نَكَرَاءً، سَمِعَهَا مَنْ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، إِلَّا  
الثَّقَلَيْنِ فَهُمَا فِي غَفْلَةٍ صَمَاءَ.

ثُمَّ قِيلَ لِي: يَا مُضَيِّعَ الْمَفْرُوضِ، هَلُمَّ إِلَى وُضُوءٍ مَرْفُوضٍ! فَاتَّوَيْتُ بِمَاءِ الرَّصَاصِ الْمَغْلِيِّ، وَقَالُوا:  
تَوْضَأًا لِلصَّلَاةِ كَيْ تُصَلِّيَ! فَصَبَبْتُهُ عَلَى أَعْضَائِي، فَأَكَلَ لَحْمِي وَدِمَائِي، وَبَانَ الْعَظْمُ لِلنَّاطِرِينَ،  
وَأَنَا فِي زُمْرَةِ النَّادِمِينَ! وَكَلَّمَا هَمَمْتُ بِالْفِرَارِ، ذُقْتُ مِنْ ضَرْبِهِمْ مَرَارَةَ النَّارِ، حَتَّى صَارَ مَاءُ الرَّصَاصِ  
عِنْدَ ذَا، أَهْوَنَ مِنْ مَقَامِعِ الْحَدِيدِ وَالرَّذَى.

<sup>1</sup> المحتفد: هو المسرغ في الخدمة، وفي المقامة المراد هو: قبل تساق للنار بسرعة منّا نحن الملكين فنحن خدام الله جل وعلا.

<sup>2</sup> المزارب: المطارق.

ثُمَّ جَاءُونِي بِسَجَادٍ مِنَ السَّجِينِ<sup>1</sup>، وَقَالُوا: ارْكَعْ لِمَنْ كُنْتَ بِهِ لَا تَسْتَعِينُ! فَمَا إِنْ وَقَفْتُ عَلَيْهَا  
حَتَّى انْتَزَعْتَ أَقْدَامِي، وَسَجَدْتُ فَتَسَاقَطَتْ جَبْهَتِي وَعِظَامِي! وَخَنَقَنِي رِيحُهَا الْمُنْتِنُ، وَأَنَا فِي  
مَحْبِسِي الْمُرْتَهَنِ.

ثُمَّ أُعِيدَ لِحَمِي كَمَا كَانَ، لِتَأْكُلَنِي الْأَفَاعِي وَالِدِيدَانُ، وَأَنَا أُبْصِرُ عَيْنَ الْفَنَاءِ، وَأَتَجَرَّعُ كُؤُوسَ الشَّقَاءِ.  
وَبَيْنَمَا أَنَا فِي هَذَا الضِّيقِ، بَرَزَ لِي بَابٌ كَالرَّحِيقِ! رَأَيْتُ مِنْ وَرَائِهِ الْقُصُورَ وَالْحُورَ، وَرِياضًا تَضْحَكُ  
بِالنُّورِ، فَقُلْتُ: زَالَ كَرْبِي، وَأَتَانِي عَفْوُ رَبِّي! فَقِيلَ لِي: كَلَّا، هَذَا مَفْعَدُكَ لَوْ صَلَّيْتُ، وَمَكَانُكَ لَوْ  
لِلَّهِ لَبَيَّتُ! ثُمَّ انْعَلَقَ الْبَابُ، وَفُتِحَ بَابُ الْعَذَابِ! فَإِذَا بِنَارٍ سَوْدَاءَ، لَا ظِلَّ فِيهَا وَلَا مَاءَ، وَأَغْلَالٍ  
وَحَيَاتٍ كَالْجِبَالِ الصَّمَاءِ! فَنَادَيْتُ: وَاحْسِرَتَاهُ، عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ، أَهَذَا هُوَ الْمَالُ؟  
وَأَيْنَ الْمَفْرُوقُ وَقَدْ تَقَطَّعَتِ الْحِبَالُ؟

فَلَمْ أزلُ فِي تِلْكَ الْأَهْوَالِ نَزِيلًا، وَلِعَذَابِ الرَّصَاصِ وَالنَّارِ قَتِيلًا! فَصَلَّيْتُ عَلَى اللَّهِهِ دِينِي،  
وَأَكَلْتُ الصَّلَالِ<sup>2</sup> لِلْحَمِي وَبَدَنِي، مَحْبُوسٌ فِي ضِيقِ الْمَلْحَدِ، بَيْنَ ضَرْبِ الْمَقَامِعِ وَالْحَرِّ الْمُؤَبَّدِ.

أَيُّ: مُنْكَرٌ، مَا هَوْلٌ مَا قَدْ جِئْتُ بِهِ \*\* أَيَا نَكِيرٌ غَائِمٌ<sup>3</sup> مَا أَرَعَبَهُ

زُرُقُ الْعُيُونِ فِي الْحَنَاجِرِ الرَّعْدِ \*\* تَنَافَسَا عَلَيَّ مِنْ أَقْوَى أَشَدِّ

سَأَلُونِي الْيَوْمَ فَهَالَ مَوْقِفِي \*\* نَسِيْتُ مِنْ هَوْلِ كَلَامِ مُصْحَفِي<sup>4</sup>

سَجَادُ نَارٍ قَدْ غَدَا لِي مَوْضِعًا \*\* رِصَاصُ غَلِيٍّ فِي عُرُوقِي قَدْ مَعَا<sup>5</sup>

\*\*\*\*\*

<sup>1</sup> السجين: هو المكان السفلي، والمعنى البلاغي أنهم جاؤوا لبطل القصة بسجاد من المكان السفلي والمقصود به النار.

<sup>2</sup> الصلال: الأفاعي.

<sup>3</sup> غائمٌ: كلام بليغ، شبه فيه الشاعر وجه نكير باليوم الغائم.

<sup>4</sup> أي: نسي ما في المصحف من كلام الله تعالى الذي حيل إلى كلام رسوله ﷺ، والذي بالتالي فيه التحذير من الدنيا ومن

فتنة القبر والآخرة.

<sup>5</sup> معا: من ماع: ماع الشيء يبيع ميعاً، أي سأل وجرى على وجه الأرض، والمعنى: أن بماء الرصاص مع لحمي وسال.

## {مَشْهَدُ}

### {نَفْحَةُ الْإِرْتِيَاعِ، وَقِيَامِ الْخَلَائِقِ لِلْإِجْتِمَاعِ}

صُورٌ صِيَاخُهُ يُصَدِّعُ الْأُذُنَ \*\* مِنْ نَفْحِ إِسْرَافِيلَ بَعْدَمَا أُذِنَ

فَقَامَ مَنْ فِي اللَّحْدِ يَرْجُو أَمْنَهُ \*\* وَقَدْ جَفَا عَنْهُ السُّبَاتُ وَالْوَسْنُ<sup>1</sup>

وَبَيْنَمَا أَنَا فِي غَمْرَةٍ هَذَا الشَّقَاءِ، وَقَدْ يَبْسُتُ مِنَ الرَّخَاءِ، إِذَا بِصَيْحَةٍ تَجُبُّ مَا قَبْلَهَا، صُعِقَ مِنْهَا  
كُلُّ مَنْ سَمِعَهَا، نَفْحَةٌ لَا يَقُومُ لَهَا مَنْ سَمِعَهَا! صَرْخَةٌ زَلَزَلَتِ الْأَرْكَانَ، وَأَذْهَلَتِ الْجَانَّ وَالْإِنْسَانَ،  
فَفَزِعَتْ فَرْعَةً خَلَعَتِ الْفُؤَادَ، وَأَنْسَتَنِي مَا كُنْتُ فِيهِ مِنَ السُّهَادِ.

ثُمَّ نَفْحَةٌ أُخْرَى أَشَدُّ مِمَّا قَبْلَهَا، تُنْدِرُ بِأَهْوَالٍ مَا يَأْتِي بَعْدَهَا.

فَإِذَا بِقَبْرِي يَنْفَجِرُ عَنِ رَأْسِي، وَيَنْكَشِفُ عَنِّي غِطَاءُ حَبْسِي! فَخَرَجْنَا مِنَ الْأَجْدَاثِ كَالْفَرَاشِ  
الْمَبْثُوثِ، وَقَلْبِي مِنَ الرَّعْبِ مَلْهُوثِ.

فَنَظَرْتُ فَإِذَا الْأَرْضُ غَيْرُ الْأَرْضِ، وَالسَّمَاءُ قَدْ طُوِيَتْ طَيِّ الْقَبْضِ<sup>2</sup>! وَإِذَا بِالنَّاسِ حُفَاةَ عُرَاةٍ،  
غُرْلًا مِنَ السِّتْرِ وَالْأَدَاةِ، يَمْوجُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، وَقَدْ دَكَّتِ الْجِبَالَ دَكًّا فَلَا عُلُوَّ وَلَا خَفْضَ.

فَصَرَخْتُ: يَا وَيْلَتَاهُ! أَهَذَا يَوْمُ الْحِسَابِ؟ أَهَذَا مَوْعِدُ الْفَصْلِ وَالْعِقَابِ؟ فَأَيْنَ الْمَفْرُ وَالسَّمَاءُ فَوْقِي  
تَمُورُ، وَالْأَرْضُ تَحْتِي كَالْبَرَكَةِ تَفُورُ؟

فَقُلْنَا: {يَا وَيْلَتَا مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا}<sup>3</sup>

<sup>1</sup> الوسن: بدء النعاس.

<sup>2</sup> التعبير لغويًا صحيح ومستقيم؛ ف "الطي" هو جمع الشيء ولفه، و"القبض" هو أخذه وجمعه بالكف أو بالقوة.

<sup>3</sup> سورة: يس: 52.

يَا حَيْبَةَ الْعُمْرِ الَّذِي مَنَّيْنِي \*\* وَبَاعَنِي لِلْمَوْتِ وَالْأَكْفَانِي  
أَضَعْتُ دِينِي فِي مَزَارِعِ الْهُوَى \*\* فَأُشْرِبَتْ ذَاتِي ذَلِيلَ الدَّانِي<sup>1</sup>  
وَمَا انْتَفَعْتُ بِالْكُؤُوسِ وَالْعِنَى \*\* إِذْ صَبِحَ فِي الصُّورِ الَّذِي أَشَقَّانِي  
وَبِتُّ فِي الضِّيْقِ الْعَظِيمِ مُرْتَهِنٌ \*\* بِذَنْبِي الطَّاعِي الَّذِي أَرْدَانِي  
صَاعَ الْهُوَى وَالْكَأْسِ وَاللَّذَاتُ فِي \*\* يَوْمِ الشَّقَى وَحَيْبَةِ الْخُسْرَانِ

\*\*\*\*\*

---

<sup>1</sup> الدَّانِي: مقابلة بلاغية: كأنك تقصد "الحسيس القريب" الذي التصق بالنفس حتى أذلها، أو "الديء" الذي نزل بمستوى النفس إلى الحضيض.

## { الْمَقَامَةُ الثَّلَاثَةُ }

{ الْمَقَامَةُ الْحَاشِرَةُ، فِي كَشْفِ مَسْتُورِ الْآخِرَةِ }

مَقَامَةُ حَاشِرَةَ لِلْمَوْقِفِ \*\* تَكْشِفُ مَسْتُورَ الْحَقِّ لِلْمُنْصِفِ  
هُنَاكَ أَسْرَارُ الْعِبَادِ تَنْجَلِي \*\* وَيَفْضَحُ اللَّهُ سِتَارَ الْمُسْرِفِ

حَكَى عِصَامُ الدِّينِ بِنُ إِبْرَاهِيمَ النَّقِيلِي، مَنْ سَهَى عَنْ مَوْعِدِ الرَّحِيلِي، الْمُبْعُوثُ مِنْ ضَيْقِ  
الرُّمُوسِ، إِلَى هَوْلِ يَوْمِ الْعُبُوسِ، قَالَ:

لَمَّا نَفَخَ فِي الصُّورِ، فَصَعِقَ مَنْ فِي الْقُبُورِ، وَتَشَقَّقَتِ السَّمَاءُ وَمَارَتِ لِلْحُضُورِ<sup>1</sup>، وَإِذَا بِي أَنْفُضُ  
التُّرَابَ عَنْ رَأْسِي، وَأَخْرُجُ بَعْدَ طُولِ حَبْسِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا الْخَلَائِقُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ، وَكُلٌّ مِنْ  
هَوْلِ الْمَوْقِفِ مَلْهُوثِ، يَمْوجُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضِ كَالسَّرَابِ، وَقَدْ غَابَ عَنْهُمْ التَّعْلِيلُ وَالْأَسْبَابُ.

فَأَبْصَرْتُ الْجِبَالَ قَدْ أَصْبَحَتْ تُرَابَ، وَالْأَرْضَ قَدْ دَكَّتْ بَعْدَ طُولِ غِيَابِ، فَأَصْبَحَتْ قَاعاً  
صَفْصَفاً لَا مَعْلَمَ فِيهَا لِذَارِ، وَلَا مَلْجَأً لِذَارٍ مِنَ النَّارِ، هُنَالِكَ أَيْقَنْتُ أَنَّ الْوَعْدَ حَقٌّ، وَأَنَّ مَا كُنْتُ  
فِيهِ مِنَ اللَّهْوِ رِقٌّ، فَذَهَلَتِ الْمُرْضِعَةُ عَنْ رَضِيعِهَا، وَنَسِيَتِ الْأُمُّ وَلِيدَهَا، وَجَاءَ النَّاسُ سُكَارَى وَمَا  
هُمْ بِسُكَارَى، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ لِمَنْ دَرَى.

فَجَعَلْتُ أَسْعَى حَافِيَاً عُرْيَانَاً، لَا أَجِدُ لِي صَحْباً وَلَا أَعْوَانَاً، وَقَدْ أَشْرَبْتُ ذَاتِي ذَلِيلَ الدَّانِي، وَأَيْقَنْتُ  
أَنِّي شَرُّ الْجَانِي.

<sup>1</sup> مارت: تحركت وتموجت، والمعنى مارت للحضور، أي: أمام أعين الحضور.

تَبَدَّلَتْ أَرْضِي بغيرِ أَرْضِيَا \*\* وَالطُّودُ صَارَ تُرْبَةً يَا وَيْلِيَا  
غَارَ الصِّيَاءِ غَابَ عَن سَكَّانِهَا \*\* بِالْحَشْرِ إِذْ تَرَعَّدَتْ أَنْفَاسُهَا  
لِلْقَلْبِ حَفَقَ وَدَمٌ فِي الْأَدْمَعِ \*\* وَالْحَلْقُ تَجَثُّوا فِي ارْتِجَافِ الْمَجْمَعِ  
هَذَا هُوَ الْوَعْدُ الَّذِي كُنْتُ أَرَى \*\* حَقًّا وَلَكِنْ هُوَ عَقْلِي قَدْ جَرَى

\*\*\*\*\*

{مشهد}

{الرَّجْرَجَةُ الْوَاحِدَةُ، وَالخُرُوجُ لِلْقِيَامَةِ الشَّاهِدَةُ}

خَرَجْتُ مِنْ لِحْدِي كَأَنِّي خَامِرٌ\*\* عَرِ فَلَآ لِبَاسٍ لِي أَوْ سَاتِرٍ

كُلُّ غَدَا مِنْ فِعْلِهِ يُحَادِرُ\*\* إِذْ نُشِرَتْ بَيْنَ الْوَرَى السَّرَائِرُ

فَلَمَّا خَرَجْتُ مِنْ مَلْحَدِي، وَنَفَضْتُ كَفَنِي بِيَدِي، اسْتَحْيَيْتُ مِنْ قُبْحِ مَنْظَرِي، وَخَجَلْتُ مِنْ سُوءِ  
مُخْبَرِي! فَتَدَكَّرْتُ مَلْهَائِي مَعَ الْقَيْنَاتِ، وَكَيْفَ بَدَلْتُ الْبَاقِيَاتِ بِالْفَانِيَاتِ، فَعَلِمْتُ أَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ  
جِنْسِ الْعَمَلِ، وَأَنَّ الْحِرْمَانَ قَدْ حَلَّ بَدَلَ الْأَمَلِ.

فَخَرَجْتُ يَغْلُونِي التُّرَابُ وَالْغُبَارُ، كَأَنِّي كَلْبٌ مَسْعُورٌ يَخْشَى النَّهَارَ! قَلْبِي يَكَادُ يَتَّبُ مِنْ بَيْنِ  
الصُّلُوعِ، وَعَيْنِي تَفِيضُ بِأَنْهَارِ الدُّمُوعِ، فَنَظَرْتُ: فَإِذَا الْخَلَائِقُ أَوْجُهُهُمْ سَوْدَاءَ، وَقَدْ غَشِيَتْهُمْ مِنْ  
الْفَزَعِ غَمْرَةٌ عَمِيَاءَ.

وَرَأَيْتُ أَقْوَامًا يَمْشُونَ عَلَى الْوُجُوهِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ فِي كَرْبِهِ مَشْدُوهٌ<sup>1</sup>!

وَرَأَيْتُ أَقْوَامًا عُمِيًّا صَمًّا بُكْمًا، وَآخِرِينَ بِالسِّنْتِهِمْ مُكَبَّلِينَ غُمَّا، وَرَأَيْتُ الْخَلَائِقَ أَلْوَانًا، كُلُّ يُبْعَثُ  
عَلَى مَا كَانَ فِي دُنْيَاهُ شَأْنًا وَعُنْوَانًا.

وَبَيْنَمَا أَنَا فِي هَذَا الْحَزْبِ الْمُقِيمِ، رَأَيْتُ رِجَالًا وَجُوهُهُمْ كَالْبَدْرِ الْوَسِيمِ، عَلَيْهِمْ تِيَابٌ كَالنُّورِ  
الْمَسْكُوبِ، وَقَدْ أَمِنُوا مِنْ كُلِّ مَرْهُوبٍ! وَلَيْسَ بِهِمْ شَخْصٌ مَعْيُوبٌ، فَتَمَنَيْتُ لَوْ كُنْتُ مِنْهُمْ  
سَبِيلًا، وَلَكِنَّ ذَنْبِي جَعَلَ الْمَقَامَ ثَقِيلًا.

<sup>1</sup> المشدوه: الذي ذهب عقله من شدة الفزع أو المفاجأة. يقال: "شده الرجل".

خَرَجْتُ يَغْلُونِي غُبَارُ الْمَلْحَدِ \*\* وَالْهَمُّ مِنْ فُجْحِي وَسُوءِ الْمَقْصِدِ

وَوَالِدِي مَذْهُولٌ قَدْ أَبْدَى غِنَى \*\* عَنِّي وَنَادَيْتُ حِمَاهُ مَا عَنَى<sup>1</sup>

وَوَحْلٌ عُمْرِي قَدْ جَفَا وَمَا دَنَا \*\* مِنِّي، وَأَلْقَى لِلْجَزَا مَا قَدْ جَنَى

فَيَا لَمَحْشَرِي وَمَا أَرْعَبَهُ \*\* وَيَا لِحُطِّي فَمَا أَتَعَسَهُ

\*\*\*\*\*

---

<sup>1</sup> الفعل (عَنَى) يعني فَصَدَّ واهْتَمَّ، والمعنى: أَنَّ الشاعِرَ لَمَّا نَادَى أَبَاهُ أَنْ يَحْمِيَهُ مَا اهْتَمَّ بِهِ مِنْ هَوْلِ الْمَوْقِفِ.

## {مَشْهَدُ}

{القَاعِ الصَّفْصَفِ، وَالْحَشْرِ إِلَى الْمَوْقِفِ الْأَخْوَفِ}

دَعُونِيَا إِلَى بَقَاعِ الْحَشْرِ \*\* دَعَا، بِكُلِّ شِدَّةٍ بِالزَّجْرِ  
وَالْحَشْرُ مَا ضِ لَا مَفَرَّ لِلْوَرَى \*\* وَالنَّاسُ فِي تَمَوَّاجِهِمْ كَالْبَحْرِ  
لَا تَرْجُونَ فِيهِ مِنْ أَبٍ وَلَا \*\* أُمِّ عَطَاءٍ، رَحْمَةً، أَوْ نَصْرٍ

فَبَيْنَمَا أَنَا فِي خِزْبِي مَعْمُورٌ، وَبِئْرَابِ لِحْدِي مَمْطُورٌ، إِذَا بِزَبَانِيَّةٍ غَلَاظٍ شِدَادٍ، كَأَنَّهُمُ الْقَطِرَانُ فِي  
السَّوَادِ! ضِحَامُ الْأَجْسَامِ، لَا يَعْرِفُونَ الرَّأْفَةَ وَلَا الْإِكْرَامَ! هُمْ أَعْيُنُ كَالْمَرَاجِلِ تَغْلِي، وَأَصْوَاتُ  
لِلْقُلُوبِ تَغْلِي.

فَأَقْبَلُوا عَلَيْنَا بِعُنْفٍ وَارْتِجَاجٍ، وَسَاقُونَا سَوْقَ الْإِبِلِ فِي الْهِيَاجِ<sup>1</sup>! فَمَا نَحْنُ عِنْدَهُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ  
الْمَسُوقَةِ، إِلَى الدَّبْحِ وَالْأَعْنَاقِ مَشْنُوقَةِ! يَزْجُرُونَنَا بِصِيْحَةٍ تَهْدُ الْجِبَالَ، وَيَدْفَعُونَنَا دَفْعًا يَقْطَعُ  
الْأَمَالَ.

فَكُنْتُ أَتَعَثَّرُ فِي أَدْيَالِ حَوْفِي، وَأَمْشِي وَالْمَوْتُ عَنِّي يَمِينِي وَخَلْفِي! نَادَيْتُهُمْ بِالرَّحْمَةِ فَمَا أَجَابُوا،  
وَسَأَلْتُهُمْ عَنِ الْمَفَرِّ فَعَابُوا! بَلْ زَادُوا فِي الدَّفْعِ وَالْإِنْتِهَارِ، وَقَالُوا: "سَيَقُومُ الْمُجْرِمُ إِلَى دَارِ الْبَوَارِ.

فَأَيَّقَنْتُ أَنَّ عِزِّي فِي الْمَزَارِعِ صَارَتْ ذِلًّا، وَأَنَّ جَبْرُوتِي فِي الْمَلَاهِي صَارَ كَلًّا! فَسَقْتُ كَالشَّاةِ  
الدَّلِيلَةَ، لَا نَاصِرَ لِي وَلَا حِيلَةَ، حَتَّى وَقَفْتُ أَمَامَ الْمَشْهَدِ الْعَظِيمِ، وَقَدْ تَقَطَّعَ قَلْبِي مِنَ الرَّفِيرِ  
وَالْمَشْهَدِ الْأَلِيمِ.

فَلَبِثْنَا فِي ذَلِكَ الْمَحْشَرِ أَمَدًا طَوِيلًا، لَا نَجْدُ إِلَى الظِّلِّ سَبِيلًا! وَقَدْ خَرَسَتِ الْأَلْسُنُ فَلَا نَطِيقُ قَالًا  
وَلَا قِيْلًا، وَثَقُلَتِ الْهُمُومُ فَمَا نَحْمِلُ إِلَّا حَمَلًا ثَقِيلًا.

<sup>1</sup> هياج الإبل: يقال "هاجت الإبل" إذا دُعرت واضطربت فصارت تعدو في كل اتجاه لا تلوي على شيء.

فَكُنْتُ أَنْظُرُ إِلَى الشَّمْسِ وَهِيَ تَصْهَرُ الْأَبْدَانَ، وَأَرَى العَرَقَ يَفُورُ كَمَا تَفُورُ الخَلِجَانُ<sup>1</sup>! فَطَالَ بِنَا  
الْوُقُوفَ حَتَّى جَنَّتِ الْأُمَمُ عَلَى الرُّكْبِ، وَاشْتَعَلَتِ الْأَنْفَاسُ بِزَفِيرِ اللَّهَبِ! فَكَمْ مِنْ سَاعَةٍ مَرَّتْ  
كَأَنَّهَا دَهْرٌ، وَكَمْ مِنْ كَرْبٍ ضَاقَ بِهِ الصَّدْرُ.

فَطَنَنْتُ أَنَّ الحِسَابَ لَنْ يَأْتِي، وَأَنَّ المَوْتَ قَدْ نَسِيَ رُفَاتِي! فَنادَيْتُ فِي نَفْسِي: يَا طُولَ هَذَا العِنَاءِ!  
أَمَا لِهَذَا المَوْقِفِ مِنْ انْتِهَاءٍ؟ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَّا صَمْتُ الرِّحَامِ، وَنَظْرَاتُ الدُّعْرِ وَالِاشْتِيَامِ<sup>2</sup>! فَأَيَّقَنْتُ أَنَّ  
هَذَا هُوَ "يَوْمُ الفِصْلِ"، وَأَنَّ مَا كُنْتُ فِيهِ مِنَ العِجْيِ كَانَ نَهَايَةَ الوَصْلِ!

سَاقُوا العُصَا كَمَا تُسَاقُ الْأَنْعَامُ \*\* وَأَنْتَهتِ الْأَفْرَاحُ بَلَّ وَالْأَخْلَامُ

شَمْسٌ تَدَنَّتْ فَوْقَ هَامِ الخَلْقِ \*\* وَالعَرَقُ الْفَوَّارُ عِنْدَ الخَلْقِ

مِثْلَ الخَلِيجِ مِنْ هَجِيرِ الزَّفْرَةِ<sup>3</sup> \*\* وَالعَطَشُ الْكَاوي سَقَى مِنْ عِبْرَتِي<sup>4</sup>

وَالأَرْضُ صَفْصَفٌ فَلَا مِنْ مَهْرَبٍ \*\* وَالكُلُّ يَجْتَنُو لِلحِسَابِ المُرْعَبِ

وَالصُّحُفُ طَارَتْ كَالجُرَادِ المُنْتَشِرِ \*\* فِي كَفِّ عِبْدٍ بِالدُّنُوبِ مُنْكَسِرِ

\*\*\*\*\*

<sup>1</sup> الخلجان: جمع خليج: الدلالة في الموعظة (العرق): حين تصف مشهد المحشر، يمكنك استخدام "الخلجان" لتصوير كثرة

العرق وسيلانه؛ فكأن عرق الخلاق لم يعد قطرات، بل صار أنهاراً وخلصاناً توح بين الزحام.

<sup>2</sup> الاشتيام: هي من (شام / يشيم)، ويقال: اشتام البرق أي نظرت إليه وتفترسه ليرى أين سيقع أمره.

<sup>3</sup> الهجير: شدة الحر، والزفرة: مفرد زفير، وهو إخراج الهواء من الفم، الدلالة في الموعظة: حين تقول "هجير الزفرة"،

فأنت تصف حالة لا يجتمع فيها حر الشمس الخارجي (الهجير) فحسب، بل يختلط بحرارة الأنفاس الملتهبة الصادرة من

الصدور المكروبة (الزفرة)، فكأن الهواء نفسه صار نيراناً تستنشق وتخرج.

<sup>4</sup> العبرة: الدمعة قبل أن تفيض، وهي بالمعنى البلاغي دمعة العين.

## {مَشْهُدُ}

{قِرَاءَةُ الْكِتَابِ، وَدَهْشَةُ الْعَبْدِ عِنْدَ الْحِسَابِ}

يَا وَيْلَتِي مَا بَالُ هَذَا الْقِرْطَاسِ \* قَدْ فَضَحَ الْمَذْنِبَ مَا بَيْنَ النَّاسِ

يَا وَيْلَتِي مَا بَالُهُ لَمْ يَتْرِكْ \* صَغِيرًا أَوْ كَبِيرَةً لَا تَنْحَكُ<sup>1</sup>

فَلَمَّا بَلَغَ الْكَرْبُ الزُّبْيَ، وَضَاقَ بِالْفَرْعِ الرُّبَا، وَاشْتَدَّ الْهَوْلُ وَالرُّعْبُ، وَغَاصَتِ النَّفُوسُ فِي

الصَّعْبِ! فَلِئذٍ بِالسَّمَاءِ تَمَطَّرُ كُتُبًا وَصُحُفًا، وَالْحَلَائِقُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا شَغَفًا وَخَوْفًا.

فَمَنْ أُوِّيَ كِتَابُهُ بِالْيَمِينِ، فَهُوَ السَّعِيدُ الْفَائِزُ بِالْتَّمَكِينِ؛ وَمَنْ هَوَى كِتَابَهُ فِي الشِّمَالِ، فَهُوَ الشَّقِيُّ

الْهَالِكُ بِسُوءِ الْمَالِ.

فَكُنْتُ أَرْفَعُ بَصْرِي لِلْسَّمَاءِ، وَقَلْبِي يَرْتَجِفُ مِنَ الشَّقَاءِ! أَقُولُ: أَيَسْقُطُ كِتَابِي بِالْيَمِينِ؟ أَمْ أَكُونُ فِي

زُمرَةِ الْمَلْعُونِينَ؟ فَجَعَلْتُ أَتَلَقَّفُ الْأُورَاقَ، وَقَدْ بَلَغَتِ الرُّوحُ التَّرَاقُ! فَإِذَا بِكِتَابِي يَهْوِي كَالصَّاعِقَةِ

السُّودَاءِ، وَإِذَا بِيَمِينِي تَنْقِضُ عَنْهُ فِي انْطِوَاءِ.

فَسَقَطَ الْكِتَابُ فِي شِمَالِي مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي، فَعَلِمْتُ أَنَّ هَذَا هُوَ يَوْمٌ حُسْرِي! فَصَرَخْتُ صَرَخَةً

زَلَزَلَتْ كِيَانِيهِ، فَقُلْتُ دُونَ أَنْ أَدْرِيهِ: {يَا لَيْتَنِي لَمْ أَوْتِ كِتَابِيهِ \* وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهِ \* يَا لَيْتَهَا

كَانَتْ الْقَاصِيَةَ \* مَا أَعْنَى عَنِّي مَالِيهِ \* هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ<sup>2</sup>} فَنَظَرْتُ فِي صَفْحَاتِهِ الْمَشْهُومَةِ، فَإِذَا

هِيَ بِفَضَائِحِ الْمَزَارِعِ مَرْسُومَةٌ! كُلُّ سَهْرَةٍ وَقَيْنَةٍ وَحَمْرَةٍ، صَارَتْ عَلَيَّ الْيَوْمَ حَسْرَةً بَعْدَ حَسْرَةٍ.

فَقَعَنْتُ فِي الْكِتَابِ، بِقَلْبٍ وَثَابٍ، فَوَجَدْتُ مَا نَسِيتُهُ مِنْ قَبَائِحِي حَاضِرًا، وَمَا جَهَلْتُهُ مِنْ

مَسَاوِيي نَاشِرًا! فَمَا غَادَرَ هَذَا الْقِرْطَاسُ شَيْئًا إِلَّا أَحْصَاهُ، وَلَا سِرًّا فِي النَّفْسِ إِلَّا أَرَسَاهُ؛ حَتَّى

<sup>1</sup> يريد الشاعر: أن هذه الكبير لا يُحكى عليها ولا يتم ذكرها من شدة قبحها وشناعتها.

<sup>2</sup> سورة: الحاقة: 25 - 29.

خَلَجَاتِ ضَمِيرِي، وَخَفِيِّ مَسِيرِي! فَأَيَقَنْتُ أَنَّ الْحُجَّةَ قَدْ قَامَتْ، وَأَنَّ الْأَمَانِيَّ الضَّالَّةَ قَدْ خَارَتْ  
وَمَا دَامَتْ.

فَانْخَلَعَ مِنْ هَوْلِهِ قَلْبِي، وَضَاقَ بِي فِي الْمَحْشَرِ دَرِي؛ فَبَكَيْتُ وَمَا نَفَعَ الْبُكَاءُ، وَارْتَجَيْتُ فَمَا أَعْنَى  
الرَّجَاءِ! فَنَادَى مُنَادٍ بِصَوْتٍ صَادِعٍ: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾<sup>1</sup> لِحَازِعِ أَوْ خَاضِعِ.

فَقُلْتُ بِصَوْتٍ ذَلِيلٍ، وَدَمَعٌ عَلَى الْحَدِّ يَسِيلٌ: "وَاللَّهِ مَا ظَلَمَنِي رَبِّي لِحِطَّةً، وَلَكِنْ كُنْتُ لِنَفْسِي  
ظَالِمًا فِي كُلِّ لَفْظَةٍ.

فَعَشِيَنِي الْهَوَانُ، وَتَمَلَّكَنِي الدُّلُّ وَالْحُسْرَانُ؛ فَأَطْرَفْتُ رَأْسِي إِلَى الْأَرْضِ حَيَاءً، وَقَدْ خَارَتْ أَطْرَافِي  
عِيَاءً؛ مِمَّا سَطَّرَ فِي كِتَابِي مِنْ مَحْزِيَّاتِي، وَخَوْفًا مِنْ سُوءِ حِسَابِي وَتَبِعَاتِي.

يَا حَسْرَتِي رَاحَ الْكِتَابُ مِنْ وَرَى \*\* ظَهْرِي فَلَا مَنَاصَ لِي وَلَا قِرَى<sup>2</sup>

أَحْصَى الْكِتَابُ كُلَّ مَا فَعَلْتُهُ \*\* حَتَّى بِمَا رَأَيْتُ أَوْ أَخْطَأْتُهُ

أَيَا فَضِيحَتِي وَيَا لِحُسْرِيَا \*\* يَا لَيْتَنِي لَمْ أَقْرَ مِنْ كِتَابِيَا

آه: وَمَا دَرَيْتُ مَا حَسَابِيَهُ \*\* يَا لَيْتَ شِعْرِي أَنْ تَكُونَ الْقَاضِيَهُ

\*\*\*\*\*

<sup>1</sup> سورة الكهف: 49.

<sup>2</sup> القِرَى: إكرام الضيف: والمعنى: لا خلاص لي ولا إكرام.

## {مَشْهُدٌ}

{الْحَوْضُ الْمُرُودُ، وَذَوْدٌ<sup>1</sup> الْمُبْتَدِعِ وَالْعَاصِيِ اللَّدُّودُ}

كُلُّ الْوَرَى قَدْ عَرَفُوا مِنْ حَوْضِهِ \* إِلَّا الَّذِي بَغَى بِسُوءِ جُرْمِهِ  
بِفَسْقِهِ، أَوْ حُمَقِهِ، أَوْ كُفْرِهِ \* أَوْ بَدْعَةً فِي الدِّينِ لَمَّا يَنْتَهِي<sup>2</sup>

فَبَيْنَمَا أَنَا فِي هَيْبِ الظَّمَا وَالْحَزْ، وَقَلْبِي مِنَ الْفَرْعِ يَكَادُ يَنْفَطِرُ، رَأَيْتُ جَمْعًا مِنَ النَّاسِ يَزْدَحِمُونَ،  
وَحَوْلَ رَجُلٍ كَالنُّورِ يَلْتَقُونَ! فَانظُرْتُ، فَإِذَا هُوَ أَبْهَى مِنَ الشَّمْسِ فِي ضُحَاهَا، وَأَجْمَلُ مِنَ الْأَقْمَارِ  
فِي غَلَاهَا، فَسِيمٌ، وَسِيمٌ، عَلَيْهِ حُلَّةٌ مِنْ نُورٍ، تَرَى فِي وَجْهِهِ النَّجَاةَ وَالْحُبُورَ، وَالسَّنَاءَ وَالسُّرُورَ.  
وَإِذَا بَيْنَ يَدَيْهِ حَوْضٌ مَدَّ الْبَصَرَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ وَالذَّرَّرِ! فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا الَّذِي مَلَأَ  
الْكُونَ سَنَاءً؟ فَقِيلَ: هَذَا مُحَمَّدٌ (ﷺ) سَيِّدُ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ! هُوَ أَرْحَمُ الْخَلْقِ بِأَمْنِهِ، وَأَطْيَبُهُمْ فِي  
سِيرَتِهِ وَسِرِّيَّتِهِ.

فَهَرَوْتُ نَحْوَهُ وَالْعُلُّ فِي عُنُقِي، لَعَلِّي أَجِدُ شَرْبَةً تُطْفِئُ حُرْقَةَ رَمَقِي! أَوْ أَنَالَ شَفَاعَةً تَمْحُو عَنِّي  
ذُنُوبِي، وَتَسْتُرُ فِي هَذَا الْمَوْقِفِ عُيُوبِي.

فَمَا إِنْ دَنَوْتُ مِنَ الْحَيَاضِ، حَتَّى اعْتَرَضْتَنِي مَلَائِكَةٌ غَالِظٌ.

فَصَرَخْتُ: يَا أَلِلِلِلِ رَسُولَ اللَّهِ، أَدْرِكْنِي أَنَا مِنْ أَهْلِ الْمِلَّةِ! فَإِذَا بِهِ يَقُولُ: "اتْرُكُوهُ، فَإِنَّهُ مِنْ زُمْرَتِي،  
فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ بِصَوْتٍ يَجُكُّ الْجِبَالَ دَكًّا: "إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَاذَا أَحَدَثَ بَعْدَكَ، لَقَدْ بَدَّلَ وَغَيَّرَ،

<sup>1</sup> كلمة «الذود» في لغة العرب تحمل معاني الحماية، والدفع، والمنع.

<sup>2</sup> أي: لم يُرد الانتهاء عن بدعته فمات عليها فمُنِع الحوض.

وَفِي الْمَزَارِعِ تَجَبَّرَ، وَ{إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ \* فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ \* ثُمَّ قَاتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ \* ثُمَّ نَظَرَ \* ثُمَّ عَبَسَ  
وَبَسَرَ \* ثُمَّ أَذْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ} <sup>1</sup>.

فَإِذَا بَوَّجَهُ النَّبِيُّ (ﷺ) يَغْلُوهُ الْإِعْرَاضُ، وَقَالَ بِصَوْتٍ يَمَلُّ نَفْسِي بِالِاتِّعَاضِ: "سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ  
بَدَّلَ بَعْدِي! بَعْدًا لِمَنْ حَانَ عَهْدِي!" فَطَرِدْتُ مِنَ الْحَوْضِ مَذْمُومًا مَذْهُورًا، عَطْشَانًا  
مَحْسُورًا<sup>2</sup>، وَصَارَ كَرْبِي بَعْدَ بَيَانِ جُرْمِي مَحْفُورًا! فَقُلْتُ: وَآ حَيْبَتَاهُ! إِذَا طَرَدَنِي أَرْحَمُ الْخَلْقِ، فَمَنْ لِي  
بِالتَّجَاةِ بَعْدَ إِزْهَاقِ الْحَقِّ؟ وَآ حَسْرَتَاهُ، عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ، وَيَا حَيْبَتَ الْمَسْعَى، إِلَى مَنْ  
فِي هَذَا الْهَوْلِ أَسْعَى؟...

أَبْصَرْتُ حَوْضَ النُّورِ يُجْلِي ظُلْمَتِي \* \* رَأَيْتُ طَهَ شَافِعًا لِأُمَّتِي

هَرَعْتُ أَرْجُو شَرْبَةً تُحْيِي الصَّدَى<sup>3</sup> \* \* لَكِنَّ ذَنْبِي عَنْ سَنَاهُ قَدْ حَدَا

قَالُوا: لَقَدْ، حَانَ الْعُهُودَ وَالْوَلَا<sup>4</sup> \* \* وَفِي غِيَابِهِ الْخَنَى قَدْ هَرُوَلَا

فَارَبَدَّ<sup>5</sup> وَجْهُ الْمُصْطَفَى بَعْدَ السَّنَا \* \* وَقَالَ: سُحْقًا لِلَّذِي حَانَ الْمُنَى<sup>6</sup>

فَوَحَّتْ مَطْرُودًا بِلَا أَيِّ حُبُورٍ \* \* وَالظَّمَا الْقَاتِلُ يَكْوِي فِي الصُّدُورِ

\*\*\*\*\*

<sup>1</sup> المدثر: 18 – 23.

<sup>2</sup> الحسر: الإعياء.

<sup>3</sup> الصدى هو شدة العطش حتى يجف الكبد ويبيس اللسان. ويقال رجل "صادي" أي شديد الظمأ.

<sup>4</sup> الولا: أصلها: الولاء: وهي المحبة والنصرة.

<sup>5</sup> اربد وجهه: تغير من شدة الغضب.

<sup>6</sup> أردت ب المني: هو الدين.

## {مشهد}

{السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ، وَثِقَلِ الْأَوْزَارِ عِنْدَ الْحِسَابِ}

أَوْزَانُ حَقٍّ لِلْأَنَامِ انْتَصَبَتْ \* وَفِعْلُ خَلْقِ اللَّهِ فِيهَا رُصِدَتْ  
وَنُودِي الْأَبْرَارُ بِاسْمِ أَطِيبٍ \* وَنُودِي الْفُجَّارُ بِاسْمِ أُخْيِي

وَلَمَّا طَالَ النَّصَبُ، وَنَالَ مِني التَّعَبُ، وَاشْتَدَّ بي الرَّعْبُ، وَبَلَغَ مِنِّي الْكَرْبُ، وَانْقَطَعَتْ سُبُلِي،  
وَغَابَتْ عَنِّي حُجَجِي وَعَلَلِي، وَطَالَ الْإِنْتِظَارُ، وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ سَبِيلَهُ الْجَنَّةِ أَمْ لِلنَّارِ...  
إِذْ يَمْنَادُ يُنَادِي بِصَوْتِ رَحِيمِ جَهُورٍ: «هَلُمُّوا لِلْعَرْضِ عَلَى الْعَزِيزِ الْعَفُورِ، وَنَصِبِ الْمَوَازِينِ لِكَشْفِ  
مَا فِي الصُّدُورِ!»

فَجَعَلَ الْمُنَادِي يَدْعُو الْخَلَائِقَ بِأَسْمَائِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُنَادِي بِأَطِيبِ أَسْمَائِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُنَادِي  
بِأُخْبَثِ أَسْمَائِهِ.

فَأَمَّا مَنْ نُودُوا بِأُخْبَثِ أَسْمَائِهِمْ، فَيَبْشَرُونَ بِإِعْزَازِهِمْ، وَيُدْعَوْنَ لِإِكْرَامِهِمْ، فَتَرَى وُجُوهَهُمْ مُسْفِرَةً،  
صَاحِكَةً مُسْتَبْشِرَةً.

وَأَمَّا مَنْ نُودُوا بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِمْ فَتَرَى وُجُوهَهُمْ، تَعْلُوها غَبْرَةً، وَتَرْهَقُها قَتْرَةً، وَبِسَوَادِ الْخِزْيِ غَائِرَةً.

فَنَادَى مُنَادٍ: أَيُّ صَدِيقٍ، يَا صَاحِبَ الْعِتْقِ الْعَتِيقِ، وَالْقَلْبِ الشَّفِيقِ، يَا مَنْ كُنْتَ نِعْمَ الرَّفِيقِ،  
تَقَدَّمَ وَاشْهَدْ عَلَى الْأُمَّمِ، وَأَبْشِرْ بِالْخَيْرِ وَالنِّعَمِ.

فَقُلْتُ عَلَى مَنْ يُنَادُونَ؟ وَمَا لَهُمْ بِهِ يَتَمَدَّحُونَ؟

فَقَالُوا: هَذَا صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ الْأَوَّاهُ، أَفْنَى مَالِهِ، وَأَهْلَكَ عُمُرَهُ، حَتَّى  
لَاقَى رَبَّهُ.

قُلْتُ: فَمَا لَهُ غَيْرُ مَرْعُوبٍ؟ وَلَا يُسْأَلُ عَنِ الدُّنُوبِ؟ أَهُوَ مِنَ البَشَرِ؟ أَمْ هُوَ مَلَكٌ مُقْتَدِرٌ؟

قَالُوا: بَلْ هُوَ مِنَ البَشَرِ وَلَكِنَّهُمْ لَا يُسْأَلُونَ، بَلْ عَلَى الأُمَّمِ يَشْهَدُونَ.

وَرَأَيْتُ كُرْسِيَّ جُلُوسٍ، يَبْعَثُ اهُيْبَةَ فِي النُّفُوسِ، أَعْظَمُ مِمَّا بَيْنَ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، لَيْسَ لِعُلُوهِ مِنْ انْتِهَاءٍ، وَهُوَ مَرْكُوزٌ فَوْقَ المَاءِ.

قُلْتُ: يَا وَيْلِي مَنْ يَقْدِرُ عَلَى هَذَا الكُرْسِيِّ المَهِيْبِ، قَالُوا: بَلْ هُوَ عَرْشُ الرَّحْمَنِ المَحِيْبِ.

فَلَمْ أَشْعُرْ حِينَهَا بِمِثْلِ ذَلِكَ الرَّعْبِ، مِنْ شِدَّةِ اهُيْبَةِ وَالعَجَبِ.

فَنَظَرْتُ تَحْتَ العَرْشِ، فَإِذَا بِعِبَادٍ تَمْشِي بَيْنَ ضَلَالٍ وَكُرُومٍ، آمِنُونَ كَأَنَّهُمْ لَيْسُوا فِي اليَوْمِ المَعْلُومِ.

وَقَبِلَ السُّؤَالَ جَاءَ الجَوَابُ، وَلَأَنَّكَ مَنْ كَانُوا لِلرَّحْمَنِ أَحْبَابَ.

وَرَأَيْتُ رِجَالًا عَلَيْهِمْ تِيْجَانٌ مِنْ نُورٍ، يَعْطُونَ وَجُوهُهُمْ السُّرُورَ وَالحُبُورَ، فَقُلْتُ بِقَلْبٍ كَسِيْرٍ وَمَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ طَالَتْ هَيْبَتُهُمُ السَّمَاءُ؟ قَالُوا: يَا مَغْبُونٌ أُولَئِكَ هُمُ الشُّهَدَاءُ، بَاعُوا لِهِنَّ أَنْفُسَهُمْ وَالدِّمَاءَ.

وَرَأَيْتُ أَقْوَامًا يَتَقَدَّمُونَ، عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ وَهُمْ مُكْرَمُونَ، وَمِنْ وَرَائِهِمْ خَلْقٌ وَيَكَاثُهُمْ مُرْسَلُونَ، فَقُلْتُ وَالحَزْنَ يَمَلُّ جَوْفِي، وَاحْتَلَطَ مَعِ هَيْبِي وَخَوْفِي، أَهَؤُلَاءِ هُمُ المُرْسَلُونَ؟

فَقَالُوا: يَا حَزُونٌ، بَلْ هُمْ أَهْلُ العِلْمِ، وَالجِدِّ وَالعِزْمِ، هَدَى اللهُ بِهِمُ الأُمَّمَ، وَعَلَتْ بِرُؤْيَيْهِمُ اهُمَمٌ.

فَقُلْتُ: وَاللَّهِ حَسْرَتَاهُ، عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ، يَا لَيْتَنِي قَدِمْتُ لِحَيَاتِي، وَأَرْضَيْتُ رَبِّي قَبْلَ مَمَاتِي، لَكُنْتُ الآنَ مِثْلَهُمْ، وَأَسْتَبْشِرُ بِقُرْبِهِمْ.

وَلَكِنِّي أَضَعْتُ الحَيَاةَ، بَيْنَ رِجْزِ الحَانَاتِ، وَعِنَاقِ القَبِيْنَاتِ، وَتَرَكْتُ الصَّلَاةَ، وَفِعَلَ الخَيْرَاتِ، حَتَّى فَاتَ مَا فَاتَ.

ثُمَّ تَوَالَى النَّدَاءُ بِأَسْمَاءِ أَهْلِ الصَّلَاحِ، وَهُمْ يُبَشِّرُونَ بِالْخَيْرِ وَالْفَلَاحِ، كُلٌّ عَلَى حَسَبِ دَرَجَاتٍ  
أَعْمَاهِمُ، وَمَا قَدَّمُوا فِي سَالِفِ أَعْمَارِهِمْ.

ثُمَّ نُودِيَ عَلَى أَنَاسٍ فَتَقَدَّمُوا مَرْعُوبُونَ، وَمَا بَشَّرْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَلَا لِحَالِهِمْ يَعْلَمُونَ، فَأُوقِفُوا أَمَامَ  
الْعَزِيزِ الدَّيَّانِ، وَسُئِلُوا عَمَّا كَانُوا، وَطَالَ بِهِمُ الْوُقُوفُ، وَنَالَ مِنْهُمْ الرُّعْبُ وَالْخَوْفُ، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِمُ  
الْحِسَابُ، حَتَّى تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ، وَظَنُّوا أَنَّ مَا لَهُمْ إِلَى النَّارِ، وَأَنَّهُمْ لَنْ يُعْجِزُوا اللَّهَ بِالْفِرَارِ،  
وَاسْتَسَلَّمُوا لِحُكْمِ الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ، ... فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ فِي تَبَارُكٍ<sup>1</sup>، وَلَا مَنْجَى لَهُمْ مِنْ سَعِيرِ النَّارِ، حَتَّى  
سَمِعْتُ صَوْتًا يَقُولُ: أَنَا الرَّحِيمُ الْعَفَّارُ، سَتَرْتُكُمْ فِي الدُّنْيَا مِنْ خِزْيِ الْعَارِ، وَهَذَا أَنَا أَعْفِرُ لَكُمْ فِي  
هَذِهِ الدَّارِ.

ثُمَّ ابْتَدَرَ الصِّيَاحُ بِأَهْلِ الْمُعْصِيَةِ، يَا وَيْلَتِي هَلْ لِي مِنْ مُنْجِيَةٍ، فَنَادَوْا بِرَجُلٍ، لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ  
سَجَلًا، كُلُّهَا عَلَى ظَهْرِهِ وَمَا حَمَلٌ، فَوُضِعَتْ كُلُّهَا فِي كَفَّةٍ، وَالْأُخْرَى مَا فِيهَا مِنْ حَسَنَةٍ، فَقُلْتُ: يَا  
لِهَذَا الْمِسْكِينِ، فَقِيلَ: هَلْ ظَلَمَكَ الْكَاتِبِينَ، فَكَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ، وَقَالَ: لَا يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ،  
وَإِتِّجَهْ إِلَى الْعَذَابِ الْمُهِينِ، فَنُودِيَ: أَنْ يَا مِسْكِينِ، إِنَّ لَكَ حَسَنَةً وَلَنْ تَكُونَ عِنْدَنَا مِنَ الْمُظْلَمِينَ،  
قَالَ: أَيُّ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَمَا تَفَعَّلَ حَسَنَةً مَعَ هَذَا الْجُرْمِ الْمُهِينِ، فَأُخْرِجَتْ لَهُ بِطَاقَةٌ يَعْلُوهَا السَّنَاءُ،  
فَأُلْقِيَتْ فِي كَفَّةِ الرَّخَاءِ، فَطَاشَتِ السَّجَلَاتُ فِي السَّمَاءِ، فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ، فَمَا لَهَا مَعَ  
السَّجَلَاتِ مِنْ طَاقَةٍ، فَقِيلَ: إِنَّ ذَا مَعَ فَسِقِهِ كَانَ يُحِبُّ اللَّهَ، وَكَانَ لَهُ أَوَاهُ، وَقَالَ يَوْمًا: لَا إِلَهَ إِلَّا  
اللَّهُ، خَالِصَةً مِنَ الْقَلْبِ، فَأَنْجَتْهُ مِنْ كُلِّ كَرْبٍ.

وَنُودِيَ بِرَجُلَيْنِ، أَوْلَهُمُ مِسْكِينِ، لَا يَمْلِكُ إِلَّا حَسَنَةً وَاحِدَةً، وَالثَّانِي تَنْقُصُهُ حَسَنَةً وَاحِدَةً، لِيَدْخُلَ  
إِلَى جَنَّةِ الْمُحَلِّدِينَ، فَقَالَ لَهُ الْمِسْكِينِ، خُذْ حَسَنَتِي وَانْجُوا بِهَا مِنْ عَذَابِ مُهِينِ، فَأَنَا لَا شَكَّ أَيُّ  
مِنَ الْمُخْضَرِّينِ، فَنَادَاهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، أَنَا أَكْرَمُ مِنْكَ وَأَنَا أَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ، خُذْ بِيَدِ أَخِيكَ فَإِنَّكُمَا  
مِنَ النَّاجِحِينَ.

<sup>1</sup> التَّبَارُ: هُوَ الْفَسَادُ وَالْدِمَارُ، وَهُوَ بِلَاغِيًّا فِي هَذِهِ الْمَقَامَةِ: الْخَسْرَانِ الْمَطْلُوقِ.

فَعَجِبْتُ مِنْ رَحْمَةِ الرَّاحِمِينَ، وَظَنَنْتُ أَنِّي هَذَا مِنَ النَّاجِينَ، وَلَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ.

ثُمَّ ابْتَدَرَ الصِّيَاحُ بِأَهْلِ الْكِبَائِرِ وَالْمُجْرِمِينَ، كَذَا صَبِيحَ بَمَنْ كَانُوا لِلصَّلَاةِ تَارِكِينَ، وَلِلزَّكَاةِ غَيْرُ فَاعِلِينَ، وَهُمْ فِي الْأَصْفَادِ مُغْلَلِينَ، فَسُئِلُوا حَتَّى عَنِ الْعِزِّ، وَحَتَّى عَنِ الْهَمَزِ وَاللَّمَزِ وَالْعَمَزِ، فَكَذَّبُوا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَقَالُوا: هَاتُوا لَنَا بِشَاهِدِينَ، فَتَكَلَّمَتْ جُلُودُهُمْ، وَتَكَلَّمَتْ أَيْدِيهِمْ، وَشَهِدُوا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، فَأَخَذُوا يَتَضَرَّعُونَ، وَلِرَبِّهِمْ يَرْتَجُونَ، وَلَكِنْ مَا يَنْفَعُ الرَّجَاءَ، بَعْدَ أَنْ انْقَضَتْ أَيَّامُ الْعِزِّ وَالْهِنَاءِ، وَطَاعَ الْعُمُرُ فِي الْغَيِّ هَبَاءً، فَنَادَى مُنَادٍ أَنْ: {خُذُوهُ فَعْلُوهُ \* ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ \*} ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ<sup>1</sup>، فَقُلْتُ: يَا وَيْلَ عِصَامِ الدِّينِ، أَأَكُونُ مِنَ النَّاجِينَ، أَمْ حَالِي فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ؟

وَقْتُ الْحِسَابِ:

وَبَيْنَمَا أَنَا فِي ذُعْرِي وَارْتِيَابِي، أَنْتَظِرُ مَوْعِدَ عِقَابِي، إِذَا بِالِدَّاعِي يَهْتِفُ بِاسْمِي: «أَيْنَ عِصَامُ الدِّينِ، الْمَذْنِبِ اللَّعِينِ؟» فَأَنْخَعَ هَوْلَ الْإِسْمِ جَنَابِي، وَخَانَتْنِي فِي الْمَشْيِ سِرِّيَابِي، وَصَارَ تَعْتِيبِي دَلِيلَ هَوَانِي<sup>2</sup>، وَقِيلَ لِي بِزَجْرِ رَهَيْبٍ: اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبٌ.

فَنَظَرْتُ، فَإِذَا بِالْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا، وَلَا زَلَّةً فِي الْخَفَاءِ إِلَّا أَبَدَاهَا! فَوَجَدْتُ مَا عَمِلْتُ حَاضِرًا بَيْنَ يَدَيَّ، وَفَضَائِحَ الْعُمُرِ كُلِّهِ تُشِيرُ إِلَيَّ، فَرَهَبْتُ مِنْ هَوْلِ الْفُضِيحَةِ، وَلَمْ أَجِدْ مَنْ يُدْئِي لِي النَّصِيحَةَ! فَلَمْ أَعُدْ أَرْتَجِي شَفَاعَةَ وَلَا خَلَاصًا، بَلْ صِرْتُ أَطْلُبُ السِّتْرَ فَلَا أَجِدُ مَنْصَاً.

وَإِذَا بِأَفْعَالِي تُنَادِي عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ، وَالْخَلَائِقُ تَنْظُرُ إِلَيَّ بِاخْتِقَارٍ وَبِعَادَا! وَالْقَائِلُ يَقُولُ لِلْمَلَأِ أَجْمَعِينَ: «هَذَا هُوَ عِصَامُ الدِّينِ، فَعَلَ يَوْمَ كَذَا فِعْلَهُ الْمَشِينِ، لَمْ يَرْقُبْ حُرْمَةً وَلَا دِينَ، وَلَمْ يَسْتَحِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَمَا اعْتَبَرَ الْكِرَامَ الْكَاتِبِينَ!»

<sup>1</sup> الحاققة: 29-32.

<sup>2</sup> التَّعْتِيبُ هُوَ الْمَشْيُ بِصُعُوبَةٍ وَكَأَنَّ الشَّخْصَ يَقْفُزُ عَلَى رِجْلٍ وَاحِدَةٍ، وَحِينَ تَقُولُ "تَعْتِيبُ سِبْقَانِي"، فَأَنْتَ تَصَوِّرُ ارْتِعَاشَ الْأَطْرَافِ وَعَدَمَ قُدْرَتِهَا عَلَى حَمْلِ الْجَسَدِ مِنْ هَوْلِ الْمَوْقِفِ.

فَجَعَلْتُ أَنْوْحَ حَتَّى جَفَّتِ الْمَدَامِعُ، وَانْقَطَعَ الصَّوْتُ فِي تِلْكَ الْمَجَامِعِ! وَنَظَرْتُ، فَإِذَا الْمَلَائِكَةُ  
الْكِرَامُ مِنِّي مُشْمِزُونَ، وَإِذَا بِجِبْرِيلَ الرَّحِيمِ عَنِّي مِنَ الْمُعْرِضِينَ! فَيَا لَفَضِيحَتِي فِي مُحْشَرِي، وَيَا  
لِحَيْبَتِي بَعْدَ تَكْبُرِي.

فَلَمَّا بَدَأَ السُّؤَالَ، وَاشْتَدَّ الْوَبَالُ؛ فَلَمْ يَتْرُكُوا صَغِيرَةً إِلَّا جَلَوْهَا، وَلَا حَفِيَّةً فِي النَّفْسِ إِلَّا تَلَّوْهَا!  
حَتَّى مَا حَدَّثْتُ بِهِ ضَمِيرِي، وَاسْتَتَرْتُ بِهِ عَن عَيْنِ نَظِيرِي؛ وَجَدْتُهُ فِي مُحْضَرِي، وَشَهِدَ بِهِ عَلَيَّ  
مُخْبِرِي.

فَطَالَ الْمَقَامُ، وَكَثُرَ الْمَلَامُ؛ فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا مِنْ أَنْ أَبُوءَ بِالْإِعْتِرَافِ، بَعْدَمَا عَجِزْتُ عَنِ الْإِخْتِلَافِ،  
فَلَنْ يَنْفَعَنِي هُنَا الْكَذِبُ، فَلَيْسَ لِي مِنَ اللَّهِ مَهْرَبٌ، فَكُنْتُ كُلَّمَا سُئِلْتُ عَنْ مَصِيبَةٍ سَبَقْتُ، أَوْ  
جَرِيرَةٍ فِي عُمُرِي لِحَقَّتْ؛ أَطَرَقْتُ رَأْسِي حَجَلًا، وَتَجَرَّعْتُ غُصَصِي وَجَلًّا! فَيَزُجُرْنِي الْمَلِكُ: أَنْطِقْ يَا  
هَالِكُ، فَإِنَّ مَوْعِدَكَ مَعَ مَالِكُ، أَنْطِقْ بِالْقَوْلِ الصَّرِيحِ، فَمَا لَكَ الْيَوْمَ مِنْ فُسْحَةٍ تُرِيحُ.

فَأَقُولُ: "نَعَمْ فَعَلْتُ"، وَلَيْتَنِي قَبْلَهَا عُيِّبْتُ أَوْ زِلْتُ! فَالْحَزِي يَمْلَأُ الْفُؤَادَ، وَالْحِيَاءُ يَكْوِي الْكَبِدَ  
وَالْمَهَادُ؛ وَالْخَلَائِقُ كُلُّهُمْ سَامِعُونَ لِفَضَائِحِي، وَمُطَّلِعُونَ عَلَيَّ مَقَابِحِي.

فَلَمَّا نُصِبَتِ الْمَوَازِينُ لِلْفَصْلِ، وَبَرَزَتْ خَفَايَا الْعَدْلِ؛ أُحْضِرْتُ لِلْعَرَضِ وَأَنَا مِنَ الْحَسَنَاتِ عُرْيَانُ،  
وَمِنَ الْأَوْزَارِ وَجَلُّ حَيْرَانُ! فَأَخَذُوا أَنْقَالَ الذُّنُوبِ عَنْ ظَهْرِي، وَوَضَعُوهَا فِي كَفَّةِ الْمِيزَانِ لِقَهْرِي؛  
فَكَانَتْ جِبَالًا لَا تُعَدُّ بِالْحُسْبَانِ، وَأَنَا مِنْ هَوْلِهَا فِي اضْطِرَابٍ وَشَنَّانٍ<sup>1</sup>.

وَجِيءَ لِي بِبَعْضِ الْحَسَنَاتِ، وَوُضِعَتْ فِي كَفَّةِ الْمُنْجِيَاتِ، فَعَلْتُ فِي قَلْبِي الْبِشَارَاتِ، وَلَكِنْ بَيْنَمَا  
أَنَا أَرْتَجِي صَالِحَ الْخَيْرَاتِ، جَاءَنِي أَهْلُ الْمَطَالِمِ وَالتَّبِعَاتِ، أَهْلُ الْقِصَاصِ مِمَّنْ نَاهُمْ ظُلْمِي، وَأَكَلَتْ  
حُقُوقَهُمْ فِي الدُّنْيَا بِحُجْمِي؛ فَأَخَذَ كُلُّ خَصْمٍ مِنْ حَسَنَاتِي قَبْضَةً، حَتَّى لَمْ يَتْرُكُوا لِي مِنْ خَيْرِ حِطَّةٍ!

<sup>1</sup> الشَّنَّانُ هُوَ الْبُغْضُ الشَّدِيدُ، وَهُوَ: فِي مَشْهَدِ الْمِيزَانِ، وَصِفْتُ بِهِ حَالِ "الاضْطِرَابِ"؛ لِأَنَّ مَنْ يَرَى أَوْزَارَهُ تَرَجُّحَ كَالْجِبَالِ،  
تَقَعُ فِي قَلْبِهِ شَنَّانٌ لِنَفْسِهِ (بُغْضٌ شَدِيدٌ لِمَا فَرَطَ)، وَيَقَعُ عَلَيْهِ شَنَّانُ الْخَلَائِقِ الَّذِينَ يَكْرَهُونَ قَبْحَ فِعْلِهِ.

فَلَمَّا فَنِيَ الرَّصِيدُ، وَتَقِيَ الْوَعِيدُ، طَرِحَ عَلَيَّ مِنْ سَيِّئَاتِ كُلِّ عَنِيدٍ؛ فَزَادَتْ أَوْزَارِي بَعْدَ  
الْإِنْكَشَافِ، وَأَنَا أَرْمُقُ النَّارَ مِنْ طَرْفِ خَفَافٍ.

فَنَادَيْتُ بِغُصَّةٍ وَآهٍ: أَيْنَ أَنَا مِنْ صَاحِبِ الْبِطَاقَةِ الْأَوْاهِ؟ فَأَنَا أَيْضًا قُلْتُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ!  
فَقِيلَ لِي: إِنَّهُ كَانَ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ وَالصَّلَاةِ، وَأَنْتَ لَمْ تَرََعْ لِلَّهِ حَقًّا فِي سَاعَةِ نَجَاةٍ! فَلَمْ تَرَكَعْ لِلَّهِ  
خِيفَةً، وَتَنَامُ فِي اللَّيْلِ حِيفَةً.

فَأَيْنَ أَنْتَ مِمَّنْ لَمْ يَتْرُكْ صَلَاتَهُ، وَأَدَّى الْحُقُوقَ وَرَكَاتَهُ؟  
فَقُلْتُ: فَمَا بِالِي وَصَاحِبِ الْحُسْنَةِ وَصَاحِبِ الْحُسْنَاتِ؟ فَقَالُوا: لَمْ يَتْرُكِ الصَّلَاةَ، وَغَلَبَ كَرَمُهُ  
شُحَّهُ، فَجَزَاهُ رَبُّهُ مِنْ جِنْسِ عَمَلِهِ، كَذَلِكَ فَمَا جَزَاؤُكَ إِلَّا مِنْ جِنْسِ عَمَلِكَ، وَمَا هَلَكَ إِلَّا بِمَا  
حَاكَ فِيكَ خَطْلُكَ<sup>1</sup>.

فَحِينَهَا هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ<sup>2</sup>، وَمَا نَفَعْتَنِي سَهْرَاتِي وَلَا مَالِيَّةٌ؛ وَبَقِيَتْ بَيْنَ كَفَّتِي الْمِيزَانَ مَبْهُوتٌ  
كَالْمَعْتُوهُ، لَا نَاصِرَ لِي وَلَا جَاهَ أَرْجُوهُ.

ثُمَّ قِيلَ: هَلْ ظَلَمْتَ كَتَبْتِي؟

فَقُلْتُ: لَا، بَلْ هُمْ أَهْلُ التَّنَبُّتِ.

فَقِيلَ: هَلْ لَكَ مِنْ عُذْرٍ أَوْ حُجَّةٍ تَكُونُ لَكَ نَصِيرٌ؟

فَقُلْتُ: لَا رَبِّي، وَإِلَيْكَ الْيَوْمَ الْمَصِيرُ.

فَنَادَى الْمُنَادِي بَيْنَ الْعِبَادِ: غُلُّوهُ بِالسَّلَاسِلِ وَالْأَصْفَادِ، وَسُوقُوهُ إِلَى الصِّرَاطِ سَوِّقَ الْقِيَادِ<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> الخطل: الحمق: وهو: الفساد في القول: وهو: الخطأ في الرأي.

<sup>2</sup> السلطان: هنا هو الحجة، والمعنى، نفذت حججي التي أحتجُ بها.

<sup>3</sup> المعنى اللغوي (السوق والقود): في لسان العرب، السوق يكون من الخلف (دفع الدابة)، أما القود فيكون من الأمام (سحب الدابة بزمامها). والجمع بينهما يعني أن الشخص مُحاطٌ من الجهتين؛ يُدفعُ زجراً من ورائه، ويُسحبُ قسراً من أمامه

عَرْشُ الْإِلَهِ فِي الْهِيَاةِ قَدْ رَسَا \*\* وَالْحَشْرُ فِي شِدَّتِهِ مَا أَفْسَى  
جَزِيرُ غَاظِبٍ كَذَا الْأَمْلاكَ فِي \*\* غَيْضٍ بِمَنْ عَتَا وَقَلْبُهُ قَسَا  
فَالْبَارُ فِي هَوْلٍ يَسِيرُ آمِنًا \*\* وَالْعَاقُ مِنْ رُعبٍ يَلُومُ الْأَنْفُسَا  
أَتَتْهُمُ صَحَائِفٌ طَاشَتْ لِمَنْ \*\* أَنْأَى بِتَوْحِيدٍ وَلِلذَّنْبِ نَسَا  
حَتَّى دَعَا الْفُصَاةَ لِلْفُضْلِ الَّذِي \*\* هَدَّ الْجَنَانَ بِالْمَهَابِ أَحْرَسَا  
وَأَنْهَلَتْ الْعَبْرَاتُ لَمَّا جِيءَ بِالْأَلِ \*\* كُنْبِ الَّتِي لَمْ تَنْسَ ذَنْبًا رُجَسَا  
وَالْحُصْمُ مِنْ هَوْلٍ فَقَدْ تَقَاسَمُوا \*\* أُجُورَ عَبْدٍ مِنْ عَبَاءِ أَفْلَسَا  
قِيلَ لِمُذْنِبِ أَبَانَ حَسْرَةً \*\* الْيَوْمَ لَا نَجْوَى لِقَلْبِ أُويسَا  
فَعُلَّ بِالْأَصْفَادِ سَوْقًا لِسَقَرٍ \*\* مِنْ بَعْدِ عُمُرٍ بِالْمَلَاهِي أُنْعَسَا

\*\*\*\*\*

{مَشْهَدُ}

{الصِّرَاطِ الْأَحَدُ، وَنَجَاةِ الْأَبْرِ وَهَلَاكِ الْأَرْدِ<sup>1</sup>}

جِسْرٌ يُمَدُّ فَوْقَ نَارِ الصَّرِيمِ<sup>2</sup> \* دَخَضَ مُرَلَّةً لِأَهْلِ الْجُرْمِ

وَاحْطَفُ بِالْكَلَابِ حَقًّا مُهْلِكٌ \* يَأْخُذُ مَنْ لَمْ يَنْجُ مِنْ ذِي الظُّلْمِ

قُلْتُ: ثُمَّ نَادَى الْمُنَادِي بِأَمْرِ مَهِيْبٍ: هَلُمُّوا لِلْجَوَازِ فَوْقَ اللَّهِيْبِ، فَمَدَّ الصِّرَاطُ فَوْقَ مَتْنِ النَّارِ، فَإِذَا هُوَ أَحَدٌ مِنَ الصَّرَامِ الْبَتَّارِ! تَحْتَهُ نَارٌ سَوْدَاءٌ، لَا رَاحَةَ فِيهَا وَلَا مَاءً، تَجْرِي فِيهَا وَدِيَانُ الْقَطْرِ، وَتَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ، تَحْطِفُ أَهْلَ الْعِصْيَانِ، وَكُلُّ مَنْ عَلَا قَلْبَهُ الرَّانُ.

وَعَلَى الْجِسْرِ كَاللَّيْبِ مِنْ نَارٍ، تَحْطِفُ أَهْلَ الْفَسْقِ وَالْفُجَّارِ، وَخَطَاطِيفُ كَانَّهَا شَوْكُ السَّعْدَانِ، تَهْوِي بِمَنْ أَمَرَتْ فِي لَهِيْبِ النَّسِيَانِ، وَرَأَيْتُ الْجِسْرَ مُظْلِمًا لَا نُورَ فِيهِ، وَلَا لِعَابِرٍ دَلِيلًا يَهْدِيهِ، فَقُلْتُ: كَيْفَ السَّبِيلُ لِلْعُبُورِ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ نُورٍ، فَقِيلَ: لَا وَاللَّهِ بَلْ مِنْ اعْتَادِ الثَّقَى وَالذُّخْرِ، كَانَ نُورُهُ بِقَدْرِ عَمَلِهِ عَلَى الْجِسْرِ.

ثُمَّ أَخَذَ النَّاسُ يَمْرُونَ زَمْرًا، كُلُّ خَلْفِ إِمَامِهِ بَصْرًا وَخَبْرًا! فَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ إِمَامَهُ نَبِيًّا، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ إِمَامَهُ الْغَوِيًّا.

وَكَثُرَتْ عَلَى الصِّرَاطِ الصَّيْحَاتُ، وَاتَّجَّهُوا إِلَى اللَّهِ بِالِدَّعَوَاتِ، فَقِيلَ: أَلَمْ تَكُونُ تَدْعُونَ الْأَمْوَاتَ؟ فَادْعُوهُمْ الْيَوْمَ لَعَلَّهُمْ يُجِيبُونَ، أَوْ حَتَّى أَنْفُسَهُمْ يُنْجُونَ.

<sup>1</sup> الأرد: هو الهالك المطرود.

<sup>2</sup> الصَّرِيم (أو الصَّرْمَة) تعني اشتعال النار وتأججها واثقادها.



وَمِنْهُمْ مَنْ هَوَى فِي دَرَكَاتِ الشَّقَاءِ، فِي هَمٍّ وَصِيقٍ وَعَنَاءٍ، وَهُمْ فِيهَا يَصْطَرِحُونَ، رِيٍّ أَرْجِعُونَ رِيٍّ  
أَرْجِعُونَ!

وَرَأَيْتُ مَنْ نُورُهُ مَدَّ الْبَصَرَ، وَمِنْهُمْ مَنْ نُورُهُ كَالْحِنْصَرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَمْلِكُ نُورًا، فَلَا لَهُ إِلَّا الْوَيْلُ  
وَالثُّبُورُ.

فَلَمَّا حَانَتْ سَاعَتِي لِلْعُبُورِ، وَقَدْ حَانِي السَّعْيُ وَأَنْتَابِي الْقُصُورُ، لَمْ أَسْتَطِعْ رَكُضًا وَلَا سَيْرًا  
لِلنَّجَاةِ، فَحَاوَلْتُ وَحَاوَلْتُ لَكِنْ هَيْهَاتَ، حِينَهَا قِيلَ لِي بِرَجْرٍ: ازْحَفْ يَا كَلْبُ الْفَلَاةِ.  
فَأَخَذْتُ أَرْحَفُ عَلَى بَطْنِي كَالْمُهَيْنِ، وَالنَّارُ مِنْ تَحْتِي تَمُورُ بِالْيَقِينِ! فَإِذَا بِلَهَبِهَا يُنَادِي بِاسْمِي،  
وَيَطْلُبُ بِالْغَيْظِ جِلْدِي وَعَظْمِي! يَا وَيْلَتِي مِنْ أَيْنَ عَلِمْتَ بِاسْمِي؟ وَكَيْفَ رَأَتْ شَكْلِي وَرَسْمِي؟  
يَا وَيْلَتِي يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا، أَوْ حَصَى أَوْ كَلْبًا بَيْنَ الْكِلَابِ، يَا لَيْتَنِي لَمْ أُولَدْ، وَبِهَذَا الْوَعِيدِ لَمْ  
أُوْعِدْ، يَا لَيْتَنِي أَعُوذُ فَأَعْمَلُ صَالِحًا، يَا لَيْتَنِي أَعُوذُ وَلَنْ أَكُونَ طَالِحًا، يَا لَيْتَ وَيَا لَيْتَ وَيَا لَيْتَ...  
فَأَخَذْتُ أَرْحَفُ، وَمَا كِدْتُ أَرْحَفُ، حَتَّى صَارَتِ الْكَلَالِيْبُ تَتَخَطَّفُ، وَأَخَذَتْ تَمْرُقُ أَشْلَائِي،  
وَتَسَحَبُ عَنِّي ثُوبَ رَجَائِي، وَأَنَا أَصْطَرِحُ مِنَ الْعَذَابِ، فَقِيلَ: مَا زِلْتَ لَمْ تَرَى شَيْئًا مِنَ الْعِقَابِ.  
فَأَنْزَلْتُ وَأَنَا مَارِلْتُ فِي حَافَةِ الْبَابِ، وَجَرَّيْتُ لِقَعْرِهَا الْكَلَابِ، فَتَشَبَّثْتُ فِي الصِّرَاطِ بِأَسْنَانِي  
الْمَوْجُوعَةِ، وَصَرَخْتُ صَرَخَاتٍ مَوْلُوعَةٍ<sup>1</sup>، وَأَنَا أَسْمَعُ أَجِيجَهَا مِنْ تَحْتِي، وَصُرَاخُ النَّاسِ فِيهَا زَادَ  
مَقْتِي، فَتَشَبَّثْتُ بِكُلِّ مَا أُوتِيتُ مِنْ قُوَّةٍ، عَسَانِي أَنْجُو مِنْ هَذِهِ الْهُوَّةِ، وَبَصْرِي يَرْمُقُ الْكَلَالِيْبَ  
الْحَاطِفَةَ، وَالنَّفْسُ تَرْتَعِدُ مِنَ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ...، وَلَكِنَّ الْحَسَاسِيكَ غَلَبَتْنِي، وَمِنْ حَافَةِ الْمُنْجَاةِ  
لِلْهَآوِيَةِ قَلْبَتْنِي! فَسَقَطْتُ فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ سُقُوطَ مَنْ لَا يُقَالُ<sup>2</sup>، وَتَقَطَّعَتْ بِي فِي دَرَكَاتِهَا كُلُّ الْأَمَالِ.

<sup>1</sup> أصل المادة من "الولع" وهو استعارة النار.

<sup>2</sup> مَنْ لَا يُقَالُ: (أَوْ مَنْ لَا تُقَالُ عَثْرَتُهُ) تُسْتَعْمَلُ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الشَّخْصِ الَّذِي بَلَغَ خَطْوُهُ أَوْ ذُنْبُهُ حَدًّا لَا  
مَجَالَ فِيهِ لِلصَّفْحِ أَوْ التَّجَاوُزِ.

مَدُّوا الصِّرَاطَ فَوْقَ مَتْنِ النَّارِ \*\* مِثْلَ السِّنَانِ الصَّارِمِ الْبَتَّارِ  
وَاحْلُقْ تَمَشِي وَالظَّلَامُ سَاتِرٌ \*\* إِلَّا ضِيَاءَ الدُّخْرِ لِالْبَرَارِ  
وَالْمُصْطَفَى عِنْدَ الْجَوَارِ مُبْتَهَلٌ \*\* " يَا رَبِّ سَلِّمْ " خَيْفَةَ الْأَخْطَارِ  
حَتَّى غُلِّتُ بِالسَّلَاسِلِ الْعُقْدُ \*\* يَدَايَ مِنْ غَيِّ وَمِنْ أَوْزَارِي  
أَرْحَفُ بِالْهُوَانِ وَالنَّارُ تَقْدُ \*\* سُؤْيِ عِظَامِي فِي لَطَى الْفُجَّارِ  
كَالِلبِّ تَنْهَشُ حَمَّ مَنْ غَوَى \*\* حَتَّى اخْطُطِفُ لِقَعْرِ هَذِي النَّارِ  
أُصْرُخُ وَصِخْ: فَلَا مَقَالَ لِلْغَوِي \*\* إِلَى لَطَى، أَيَا مُجُونٍ<sup>1</sup> الضَّارِي<sup>2</sup>

\*\*\*\*\*

---

<sup>1</sup> الْمُجُونُ هُوَ الْاسْتِهْتَارُ بِالْقِيمِ وَالْحَيَاءِ، وَاجَاهِرَةٌ بِالْمَعَاصِي وَالْآثَامِ دُونَ مَبَالَاةٍ بِلَوْمٍ أَوْ عَاقِبَةٍ.  
<sup>2</sup> الضَّارِي: لَهَا مَعَانٍ، مِنْ مَعَانِيهَا فِي بَابِنَا: الْمَشْتَعَلُ وَالْمَوْلَمُ: فِي وَصْفِ النَّارِ أَوْ الْبَلَاءِ، يُقَالُ "وَجَعَّ ضَارٍ، وَفِي الْبَيْتِ الشَّعْرِي:  
إِلَى لَضَى: أَي: هُوَ مَقَامِك، أَيَا: حَرْفُ نِدَاءٍ، الْمَجُونُ، الْمُسْتَهْتَرُ، الضَّارِي: الْمُتَجَبَّرُ، وَالضَّارِي أَيْضًا: فِيهَا لَفٌّ وَشَرٌّ فَتَعُودُ عَلَى  
لَضَى الضَّارِي: أَي: الْمُسْتَعْلَةُ الْمَوْلَمَةُ.

{مَشْهُدُ}

{السَّعِيرُ الْمُوصَدَّةُ، وَالنَّارُ الْمُوقَدَةُ الْمُسَلَّطَةُ}

هَذِي السَّعِيرُ الْمُوصَدَّةُ قَدْ أُوقِدَتْ \* وَنَارُهَا بَيْنَ الضُّلُوعِ سُجِرَتْ

هِيَ الَّتِي لِلْهَالِكِينَ سُلِّطَتْ \* فَانظُرْ لِأَهْوَالِ عَلَيْهِمْ نَزَلَتْ

فَلَمَّا زَلَّتِ الْقَدَمُ، وَسَقَطَتْ فِي هَاوِيَةِ النَّدَمِ، وَرَاحَتْ ذِكْرِيَاتُ الْهِنَاءِ وَالنِّعَمِ، تَلَقَّفْتَنِي نَارٌ سَوْدَاءٌ  
مُظْلِمَةٌ، لَهَا تَغِيْظٌ وَرَفِيرٌ كَالزَّلْزَلَةِ الْمُحْكَمَةِ! فَوَقَعْتُ عَلَى أُمِّ رَأْسِي فِي قَعْرِهَا، وَذُقْتُ مِنْ أَوَّلِ  
لَمْسَةِ حَرِّ سَعِيرِهَا.

فَإِذَا بِجِلْدِي يَنْضَجُ وَيَحْتَرِقُ، وَرُوحِي مِنَ الْهَوْلِ تَسْتَبِقُ<sup>1</sup>! وَكُلَّمَا نَضَجَتِ الْجُلُودُ، بُدِلَتْ بِغَيْرِهَا  
لِتَسْتَمِرَّ الْعُهُودُ! فَنَادَيْتُ بِالْعَطَشِ الَّذِي يَفِدُّ الْأَحْشَاءَ، فَأَتَيْتُ بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ  
وَالْأَعْضَاءَ! فَمَا إِنْ دَنَا مِنِّي حَتَّى سَقَطَ لَحْمٌ وَجْهِي فِي الْإِنَاءِ، وَسَقَايَ الرِّبَانِيَّةُ غَسَاقًا<sup>2</sup> تَقَطَّعَتْ مِنْهُ  
الْأَمْعَاءُ.

ثُمَّ سُحِبْتُ عَلَى وَجْهِي بِالْأَغْلَالِ، فِي سِلْسِلَةٍ ذَرَعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا مِنَ الْوَبَالِ! وَأَطْعِمْتُ مِنْ شَجَرِ  
الزَّقُومِ، فَمَا هُوَ بِمَعْنٍ وَلَا مَعْلُومٍ، بَلْ طَعَامُ الْأَثِيمِ الَّذِي يَغْلِي كَالْحَمِيمِ! فَجَعَلْتُ أَصْرُخُ: «يَا مَالِكُ  
مَا حَطْبُكَ، يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ!» فَمَا جَاءَنِي الرَّدُّ إِلَّا بَعْدَ دَهْرٍ: إِنَّكُمْ مَآكُثُونَ فِي هَذَا  
الْقَهْرِ...

<sup>1</sup> "تَسْتَبِقُ" تُوحي بأن الروح من شدة الذعر تحاول الفرار والخروج من الجسد بسرعة لتنجو من ألم الحرق، كأنها في "سباق" مع الموت أو الزمن لتتخلص من العذاب.

<sup>2</sup> الغَسَاقُ: الصَّدِيدُ وَالسَّوَائِلُ: هُوَ مَا يَسِيلُ مِنْ جُلُودِ أَهْلِ النَّارِ مِنْ صَدِيدٍ، وَقِيحٍ.

فَلَمَّا لَفَحَنِي هُبُّهَا، وَأَحْرَقَنِي شَهْبُهَا<sup>1</sup>، صَرَخْتُ بِأَعْلَى الْعَوِيلِ، وَأَنَا فِي أَعْلَالِي الْوُثْقَةِ نَزِيلٌ: «أَيَا زَبَانِيَةَ الْعَذَابِ، أَلَيْسَ لِي شَفَاعَةٌ تُنَجِّنِي مِنَ الْعِقَابِ؟ أَنَا مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ، أَنَا مِنْ شَهَدٍ بِالتَّوْحِيدِ فِي الْمَغَارِبِ وَالْمَشَارِقِ! أَلَا يُغْنِينِي إِيمَانِي، وَقَوْلُ "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" بِلِسَانِي؟

فَجَاءَنِي الرَّدُّ كَالصَّرْحَةِ الْمُرْعَدَةِ، وَكَمَطَارِقِ النَّارِ الْمُؤَصَّدَةِ: «هَيْهَاتَ يَا غَافِلَ الزَّمَانِ، لَوْ تَعَلَّمْتَ لَعَلِمْتَ أَنَّ قَوْلَكَ بِلَا عَمَلٍ هُوَ الْخُسْرَانُ! فَايْمَانُكَ الَّذِي لَمْ يُصَدِّقْهُ رُكُوعٌ، وَتَوْحِيدُكَ الَّذِي لَمْ تَبَلِّهُ دُمُوعٌ، مَا هُوَ إِلَّا حُجَّةٌ عَلَيْكَ، وَوَبَالَ يَرُدُّ الشَّفَاعَةَ عَن يَدَيْكَ.

ثُمَّ قَالُوا بِصَوْتٍ يَهْدُ الْجِبَالَ: «مَا حَالُكَ الْيَوْمَ بَيْنَ السَّلَاسِلِ وَالْأَنْكَالِ، إِلَّا كَحَالِ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ، فِي الْعَذَابِ وَالنِّسْيَانِ! فَذُقْ هَذَا الْمَقِيلِ، جَزَاءَ مَا ضَيَّعْتَ مِنْ صَالِحِ الْقَالِ وَالْقِيلِ!» فَسَقَطْتُ فِي حُفْرَتِي بَاكِياً، وَمِنْ عَظِيمِ جُرْمِي شَاكِياً، بَعْدَمَا عَلِمْتُ أَنَّ الْبِرَّ عَقِيدَةٌ وَفِعْلٌ، وَأَنَّ النَّجَاةَ دُونَهَا سَبِيلٌ وَعَمَلٌ.

يَا حَسْرَتِي فِي النَّارِ مَغْلُولَ الْيَدِ \*\* مِمَّا جَنَيْتُ مِنْ فِعَالِ الْمُعْتَدِي  
ذُقْتُ الْمَقِيلَ<sup>2</sup> بِالسَّلَاسِلِ انْكَوَتْ \*\* رُوحِي وَبِالرُّقُومِ نَفْسِي أُطِعِمْتُ  
أَبْكِي عَلَى عُمْرٍ تَقْضَى فِي الْحَنَّا<sup>3</sup> \*\* فَالآنَ ذُقْتُ الْبُؤْسَ مِنْ بَعْدِ الْهَلْ  
أَسْعَى لِعَوْتٍ لِيُغِيثَ عَبْرَتِي \*\* وَالنَّارُ تَأْكُلُ الْحَشَى وَمُهْجَتِي<sup>4</sup>  
أَشَدُّ مِنْ حَرِّ السَّعِيرِ سَمِعُ مَا \*\* يَلْدُذُّ بِهِ أَهْلُ النَّعِيمِ تَكْرُمًا

\*\*\*\*\*

<sup>1</sup> الشَّهْبُ (يَفْتَحُ الشَّيْبَ وَهَاءً) لُغَةٌ هِيَ اللَّهْبُ السَّاطِعُ الَّذِي يَغْلِبُ بِيَاضُهُ سَوَادَ النَّارِ، أَوْ هِيَ قِطْعُ النَّارِ الْمُلتَهِيَةِ.

<sup>2</sup> المَقِيلُ: مكان القيلولة: المعنى في البيت: بدلاً من أن يكون المَقِيلُ مكاناً للراحة من حر الدنيا، أصبح في جهنم مكاناً للاكتواء بالنَّارِ.

<sup>3</sup> الحنَّا: الفحش في القول.

<sup>4</sup> المهجة: خالص كل شيء: ومنه النفس والروح، ودم القلب.

{مَشْهُدُ}

{سَمَاعِ أَهَازِيحٍ<sup>1</sup> اَلْحُبُورِ، وَانْقِطَاعِ الْأَمَلِ عَن مَنَازِلِ السُّرُورِ}

أَسْمَعُ مِنْ خَلْفِ الْجِدَارِ أَنْسَهُمْ\*\* وَالنَّفْسُ تَبْكِي إِذْ نَأَتْ عَن عُرْسِهِمْ<sup>2</sup>

أَهْلُ الْجِنَانِ فِي قُطُوفٍ وَالجَنَا\*\* وَأَهْلُ الْجَحِيمِ فِي مَدَارِكِ الْعَنَا<sup>3</sup>

وَبَيْنَمَا أَنَا أَتَقَلَّبُ فِي سَعِيرِي، وَأَجْرُ أَغْلَالِ مَصِيرِي، إِذَا بِي أَسْمَعُ مِنْ بَعِيدِ ضَحِكَاتٍ عَالِيَةٍ،  
وَهْتَفَاتٍ بِالسُّرُورِ عَالِيَةٍ! فَنَادَيْتُ وَالِدِخَانَ يَعْمي بَصْرِي: أَيَّنَ مَنْ يَضْحَكُونَ فِي هَذَا الْمَحْشَرِ؟  
فَقِيلَ لِي بِصَوْتٍ يَفْقُدُ الْفُؤَادَ: أَوْلَيْكَ أَهْلُ الْجَنَّةِ أَهْلُ الْوِدَادِ! هُمْ فِي رِيَاضِهَا يُجَبَّرُونَ، وَبِنَسَائِمِ الْخُلْدِ  
يَنْتَشُونَ! يَشْرَبُونَ حَمْرًا مُصَفَّى لَا صُدَاعَ فِيهِ، وَبِرَتْشْفُونَ عَسَلًا وَلَبَنًا فِي مَبَانِيهِ! أَنْهَارُهُمْ تَجْرِي،  
وَعُيُونُهُمْ تَسْرِي، وَهُمْ فِي أَمْنٍ لَا يَدْرِي كُنْهَهُ إِلَّا اللَّبِي.   
وَلَوْ أَبْصَرْتَ حَالَ مَنْ فِيهَا، لَرَأَيْتَ وُجُوهًا كَالشَّمْسِ فِي ضَحَاحِيهَا! يَتَكُونُونَ عَلَيَّ أَرَائِكَ مَرْفُوعَةً،  
وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِأَكْوَابٍ مَوْضُوعَةً، أَمَّا الْحُورُ الْعَيْنُ، فَهِيَ كَاللُّؤْلُؤِ الْمَكُونِ، حِسَانُ الْمَنْظَرِ  
وَالسُّكُونِ! لَا يَمَسُّهُنَّ لَعْنٌ وَلَا تَأْنِيمٌ، بَلْ قَوْلُهُمْ: سَلَامٌ سَلَامٌ، فِي مُلْكٍ عَظِيمٍ.  
هَلُمُّ الْقُطُوفُ الدَّانِيَّةُ، وَالْحُلِيِّ الْعَالِيَةُ، وَعَيْشَةُ فِي نَفْسِهَا رَاضِيَةٌ! فَأَيَّنَ أَنْتَ يَا شَقِيٌّ مِنْ ذَاكَ  
الْفَحَارِ؟ وَقَدْ أُقِيدَ لَكَ فِي هَذِهِ النَّارِ شَرُّ الْقَرَارِ.

<sup>1</sup> الأهازيجُ (جمع أهزوجة) هي الأغاني التي فيها ترتم وفرح.

<sup>2</sup> العرس: المبيت: تقول عرس الرجل هنا، أي: بات ليلته هنا.

<sup>3</sup> قطوف: من القطف، والجننا: من أجنبي، قطوف الجننا أي: أنهم يسعدون بثمار الجنة بين قطفها أو جنيها.

فَارْدَادَ هَمِّي، وَسَالَ هَوَلَ الْفَرْقِ دَمِّي! وَاشْتَدَّ كَرْبِي حِينَ عَلِمْتُ أَنَّ الْحَمْرَ الَّذِي رَشَفْتُهُ فِي مَزَارِعِ  
الْغَيِّ، كَانَ ثَمَنُهُ هَذَا الْحِرْمَانُ مِنْ أَنْهَارِ الْحَيِّ! فَبَكَيْتُ حَسْرَةً عَلَى نَعِيمِ رَأَيْتُهُ وَلَمْ أَنْلُهُ، وَعَلَى مَقْعَدِ  
فِي الْفِرْدَوْسِ صَيَّعْتُهُ وَلَمْ أَحْمِلْهُ! فَيَا وَيْلَتَانَا، كَيْفَ بَعْتُ الْجَنَّةَ بِلَحْظَةٍ، وَاشْتَرَيْتُ الْخُلُودَ فِي هَبِّ  
بِنْبُضَةٍ.

يَا حَسْرَةً قَدْ قَطَعْتَ لِي كَبِدِي \*\* لَمَّا رَأَيْتُ الْخُلْدَ لَيْسَتْ فِي يَدِي

أَهْلُ الْجِنَانِ فِي مَتَاحِفِ الْهَوَى \*\* وَأَهْلُ الْجَحِيمِ فِي مَدَارِكِ الْغَوَى

هُمْ فِي أَمَانٍ لَا يَزُولُ كُنْهَهُ \*\* أَنَا بِقَيْدٍ لَا أُطِيقُ وَزَنَهُ

بَعْتُ الْجِنَانَ بِالْكَرْبِيِّ طَعْمَهُ \*\* وَقَيْنَتِهِ قَدْ طَالَ فِيهَا جُرْمُهُ

رَشَفْتُ حَمْرَ الْغَيِّ حَظَّةً، فَمَا \*\* نِلْتُ الْفَلَاحَ بَلْ شَرِبْتُ الْحِمْمَا

وَلَا يَنَالُ الْغَوْثَ فِي جَهَنَّمَا \* إِلَّا الَّذِي صَلَّى وَقَبْلُ أَسْلَمَا

\*\*\*\*\*

## {مَشْهُدُ}

{الشَّفِيعُ الْمُشَفِّعُ، وَخِيْبَةُ الظُّلُومِ الْمُتَسَفِّعُ<sup>1</sup>}

أَتَى الرَّسُولُ النَّارَ يُنْجِي أُمَّتِي \* لَكِنَّهُ لَمْ يَهْتَدِ لِشَامَتِي

فَلَا صَلَاةَ يَهْتَدِي بِهَا إِلَيَّ \* وَلَا وُضُوءَ نُورُهُ فِي عُرَّتِي

وَبَيْنَمَا أَنَا فِي سَعِيرِي أَتَلَطَّى، وَبِأَغْلَالِ خِزْبِي أَتَشَطَّى<sup>2</sup>، وَلَهَبُ النَّارِ يَأْكُلُ لَحْمِي فَيَنْبِتِرُ<sup>3</sup>، وَصَدِيدُ  
الْغَسَاقِ يَغْلِي فِي جَوْفِي فَيَنْفَجِرُ! لَا الْمَوْتُ يُنْهِئُ عَنِّي هَذَا الشَّقَاءَ، وَلَا التَّلَاشِي يَمْتَحِنِي بَرْدَ  
الْفَنَاءِ! فَكَلَّمَا انْصَهَرَتْ عِظَامِي، أُعِيدَتْ لِيَذُوقَ الْعَذَابِ كَيْبَانِي، وَتَزْدَادَ بِالْحُسْرَةِ أَشْجَانِي...،  
إِذْ بِنُورٍ يَفْتَحِمُ الظَّلَامَ، وَالنَّارُ تَبْتَعِدُ إِجْلَالًا لَهُ وَإِكْرَامًا فَدَخَلَ النَّبِيُّ (ﷺ) الصَّبُوحَ، ذُو الْوَجْهِ  
الْمَلِيحِ، وَالْقَلْبِ السَّمُوحِ، فَطَفِقَ الشَّفِيعُ يَتَفَقَّدُ الرَّعِيَّةَ، وَيَسْتَنْقِذُ النُّفُوسَ الزَّكِيَّةَ، مِمَّنْ غَلَبَتْ  
سَيِّئَاتُهُمْ حَسَنَاتِهِمْ، وَلَكِنْ بَقِيَتْ آثَارُ السُّجُودِ عَلَامَاتِهِمْ! فَكَلَّمَا مَرَّ بِفُوجٍ نَادَى: "يَا رَبِّ أُمَّتِي"،  
فَتَتَسَاقَطُ الْأَغْلَالُ بِفَضْلِ رَبِّ الْبَرِيَّةِ، ثُمَّ بِفَضْلِ الرَّحْمَةِ الْمَهْدِيَّةِ، فَأَخْرَجَ مِنَ النَّارِ فِتَامًا وَأَقْوَامًا،  
مِمَّنْ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ أَعْوَامًا.

فَاشْتَرَقَتْ نَفْسِي لِرُؤْيَاةِ، وَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِمَّنْ تَشْمَلُنِي سُقْيَاهُ، وَتُنْجِنِي شَفَاعَتَهُ، وَتُبَلِّغُنِي ظَمَأَهُ  
رَحْمَتَهُ! فَجَعَلْتُ أَنَا دِي وَالِدُحَانَ يَخْتَفِينِي، وَالسَّعِيرُ عَنْ مَرَاهُ يَحْجُبُنِي: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَا أَنَا ذَا،

<sup>1</sup> المتسفع: من السَّفَع، أي: سفح النَّار، وهو الذي علت وجهه سمرة النار وتغيرت ملامحه فلا يُعرف.

<sup>2</sup> أتشطَّى: أتفتت إلى شظايا من شدة العذاب.

<sup>3</sup> البتر: هو القطع، والتصوير: أن نار جهنم أعاذ الله منها، من شدة حرها لا تكتفي بالحرق، بل تقطع اللحم وتفصله عن العظم، وكأن النار سيف قاطع.

أَنَا بَقِيَّةُ أُمَّتِكَ الَّتِي غَرِقَتْ فِي الْأَدَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَا مَلَاذَ الْمَعِيلِ<sup>1</sup>، أَخْرِجْنِي مِنْ هَذَا الْوَيْبِلِ<sup>2</sup>!

أَنَا مِنْ أُمَّتِكَ الَّتِي تَرْجُوكَ، وَبِشَهَادَةِ التَّوْحِيدِ أَنْصُرَكَ وَأَتْلُوكَ<sup>3</sup>!

فَنَظَرَ إِلَيَّ بِنَظْرَةٍ مِلْؤُهَا الْحُزْنُ وَالْإِعْرَاضُ، وَقَالَ بِصَوْتٍ يَزِيدُ فِي أَمْرَاضِي أَمْرَاضٍ: لَا أَعْرِفُكَ يَا هَذَا! وَلَا أَرَى لَكَ عِنْدِي مَلَاذًا.

فَقُلْتُ وَالْغُصَّةُ تَخْتِقُ الْبَيَانَ وَالْأَنْفَاسَ، وَنَارُ الْحَيْرَةِ عَصَفَتْ بِالْبَنَانِ وَالْإِحْسَاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ لَا تَعْرِفُ مَنْ كَانَ بِاسْمِكَ يَشْدُو، وَفِي حُبِّكَ يَرُوحُ وَيَعْدُو؟ كَيْفَ لَا تَعْرِفُنِي وَأَنْتَ نَبِيُّ الزَّمَانِ؟ وَكَيْفَ عَرَفْتَ مَنْ أَخْرَجْتَهُمْ مِنَ النَّيْرَانِ؟

فَقَالَ بِحُرْقَةٍ تَقْدُّ الْأَحْجَارَ: عَرَفْتُهُمْ بِآثَارِ الْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ كَالْأَقْمَارِ!

وَأَنْتَ لَا سِيْمَةَ لَكَ تَدُلُّ عَلَيْكَ، وَلَا أَثَرَ لِسُجُودٍ بَيْنَ عَيْنَيْكَ! فَلَيْسَ لَكَ عِنْدِي مَعْرِفَةٌ، وَلَا لِي فِيكَ عِنْدَ اللَّهِ تَفْرِفَةٌ.

وَأَشَارَ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ إِلَى عُرَّتِي، وَنَظَرَ إِلَيَّ مَوَاضِعَ سَجْدَتِي، وَقَالَ: أَيْنَ نُورُ الْوُضُوءِ الَّذِي بِهِ أَعْرِفُ خَلَائِي؟ وَأَيْنَ أَثَرُ السُّجُودِ الَّذِي بِهِ أُمَيِّزُ أَعْوَابِي؟ لَقَدْ مَحَتِ الْغَفْلَةُ سِيْمَاكَ، وَأَطْفَأَتْ تَرْكُ الصَّلَاةِ سَنَاكَ! فَكَيْفَ أَهْتَدِي إِلَيْكَ، وَقَدْ قَطَعْتَ سَبِيلَ الْوَصْلِ بَيْنِي وَبَيْنَكَ؟ فَمَا لِي سَبِيلٌ إِلَيْكَ، وَلَيْسَ لِي بِمَا أَفْدِيكَ.

<sup>1</sup> الْمَعِيلُ: هُوَ الشَّخْصُ الَّذِي كَثُرَ عِيَالُهُ (مَنْ يَعُولُهُمْ) وَضَاقَ عَيْشُهُ، وَيُطْلَقُ مَجَازًا فِي مَقَامِكَ عَلَى الْفَقِيرِ الْمَسْكِينِ الَّذِي لَا

حِيلَةٌ لَهُ وَلَا مَلْجَأٌ، وَكَأَنَّ الْبَطْلَ يَنَادِي النَّبِيَّ ﷺ بِصِفَتِهِ "مَلَاذَ الْخِتَاجِينَ وَالضَّعْفَاءَ" الَّذِينَ انْقَطَعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ

<sup>2</sup> الْوَيْبِلُ: هُوَ الشَّيْءُ الشَّدِيدُ الثَّقِيلُ الَّذِي يُخَافُ وَبَالَهُ وَعَاقِبَتُهُ. وَفِي سِيَاقِ النَّارِ، "الْوَيْبِلُ" هُوَ الْعَذَابُ الْغَلِيظُ الَّذِي لَا يُطَاقُ ثَقْلُهُ.

<sup>3</sup> أَتْلُوكَ: أَيُّ: أَتَّبَعُكَ، مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَالْقَمَرَ إِذَا تَلَاهَا} أَيُّ تَبِعَهَا.

ثُمَّ خَرَجَ ﷺ وَمَعَهُ مَنْ صَلُّوا وَصَامُوا، وَلَكِنْ أَذْنِبُوا وَمَا أَنَابُوا! فَأُخْرِفُوا حَتَّى طَابُوا<sup>1</sup>، ثُمَّ أُخْرِجُوا بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّهِمْ، لَمَّا دَفَعُوا جَزَاءَ ذُنُوبِهِمْ، وَرَأَيْتُهُمْ أَمَامِي يُخْرَجُونَ، وَهُمْ بِالْتَّعِيمِ يَسْتَبْشِرُونَ، فَازْدَتْ شُجُونًا عَلَى شُجُونٍ<sup>2</sup>...، خَرَجُوا... وَبَقِيْتُ أَنَا فِي دَرَكَاتِي وَحِيدًا، لَا أَرَى لِلْخُرُوجِ عَهْدًا مَدِيدًا! فَلَا صَلَاةَ تَشْفَعُ، وَلَا وُضُوءَ فِي جَسَدِي يَلْمَعُ، بَلْ شَهَوَاتٌ وَعَفَلَاتٌ، وَحَسْرَاتٌ بَعْدَ حَسْرَاتٍ! فَيَا لَطُولَ كَرْبِي فِي لَيْبٍ لَا يَنْطَفِي، وَيَا لِحُزْنَ قَلْبٍ عَنِ النَّجَاةِ يَنْكَفِي<sup>3</sup>.

نَادَيْتُ: يَا طَهَ أَنَا الْمَعِيلُ \*\* أَخْرِجْنِي الْعَيْشُ هُنَا وَيَيْلُ<sup>4</sup>

فَقَدْ شَهِدْتُ لَا مَلِكَ إِلَّا الْعَلِيِّ \*\* وَأَنَّكَ الْمُبْعُوثُ مِنْ عِنْدِ الْوَلِيِّ

فَقَالَ لِي بِنَظَرَةٍ الْإِعْرَاضِ: \*\* "لَا أَعْرِفُكَ" فَزَادَ فِي أَمْرَاضِي

أَيْنَ الْوُضُوءِ كَيْ أَرَى خِلَافِي؟ \*\* أَيْنَ السُّجُودِ كَيْ أَفُكَّ الْجَانِي؟

وَمَا لَ طَهَ بِالَّذِينَ صَلُّوا \*\* وَأَوْصِدَتْ عَلَى الَّذِينَ اسْتَعْلَوْا

\*\*\*\*\*

<sup>1</sup> طابوا: هي استعارة بليغة لذهاب خبث الذنوب وبقاء طيب الإيمان.

<sup>2</sup> الشُّجُونُ (جمعُ شَجْنٍ أو شَجْنٍ) وهي الأحزان التي تتشابك في القلب وتنفُخُ كأعصانِ الشجرِ الملتفَّة.

<sup>3</sup> ينكفي: يرتدُّ ويرجعُ، و المعنى: أنَّ قَلْبَ الْبَطَلِ كَانَ مُتَطَلِّعًا لِلنَّجَاةِ حِينَ رَأَى نُورَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أَعْرَضَ عَنْهُ، ارْتَدَّ الْقَلْبُ خَائِبًا وَرَجَعَ إِلَى مَكَانِهِ فِي الْيَأْسِ وَالْعَذَابِ.

<sup>4</sup> أصل: وييل: من: الوبل: وهو: التقل، والشدة.

## {مَشْهَدُ}

{هَلَاكِ الْمَوْتِ، وَحَسْرَةِ النَّادِمِ عَلَى الْفَوْتِ}

هَذَا هَلَاكُ الْمَوْتِ حَلًّا بِالْمَوْتِ \*\* وَحَسْرَةُ النَّادِمِ مِنْ بَعْدِ الصَّدْرِ<sup>1</sup>

فَالْوَيْلُ لِلْغَاوِي إِذَا نِيلَ الْوَطْرُ<sup>2</sup> \*\* وَأَقْبَلَ الْخُلْدُ فَمَا مِنْهُ مَفْرُ

وَلَمَّا اسْتَقَرَّ أَهْلُ النَّعِيمِ فِي قُصُورِهِمْ، وَاسْتَقَرَّ أَهْلُ الْجَحِيمِ فِي زَفِيرِهِمْ، إِذَا بِأَمْرِ عَظِيمٍ يَحْدُثُ بَيْنَ  
الدَّارَيْنِ، وَيَخْطَفُ الْأَبْصَارَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ!

إِذْ جِيءَ بِكَبْشٍ أَمْلَحَ لَهُ مَنْظَرٌ مَهُولٌ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا الَّذِي بِالذَّبْحِ مَقْتُولٌ؟

فَقِيلَ لِي وَالنَّارُ تَأْكُلُ لِسَانِي: «هَذَا الْمَوْتُ الَّذِي كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُنْقِذَكَ مِنَ الْهُوَانِ!»

فَأَوْقَفَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَالْخَلَائِقِ تَنْظُرُ بِإِجْلَالٍ وَانْكِسَارٍ! ثُمَّ ذُبِحَ الْمَوْتُ فَمَا بَقِيَ لَهُ أَثَرٌ،  
وَأَنْتَشَرَ فِي مَجْمَعِ الْحَشْرِ الْحَبْرُ.

فَلَمَّا رَأَيْتُ السَّكِينِ تَمُرُّ عَلَى جِيدِ<sup>3</sup> الْمَوْتِ، خَنَقْتَنِي عَبْرَةً صَامِتَةً بِلَا صَوْتٍ! فَقَدْ كُنْتُ أُعْلِلُ  
النَّفْسَ بِأَنَّ الْعَذَابَ لَهُ نِهَايَةٌ، وَأَنَّ الْمَوْتَ سَيَكُونُ لِي آخِرَ غَايَةٍ! فَلَمَّا ذُبِحَ، ذُبِحَ مَعَهُ رَجَائِي،  
وَأَنْقَطَعَ بِالْفَنَاءِ دُعَائِي.

ثُمَّ ارْتَفَعَ صَوْتُ الْمُنَادِي يَقْدُ الْحَجْرَ، بِطَامَّةٍ لَا تُبْقِي وَلَا تَدْرُ :

<sup>1</sup> صدر: رَع: تقول: صدرَ الرُّعَاةُ أَي رَجَعُوا عَنِ الْوَرْدِ (الماء) بَعْدَ أَنْ سَقَوْا مَوَاشِيَهُمْ والمعنى: تحسّر الخاسر بعد رجوعه من الحساب.

<sup>2</sup> الوطر: بلوغ الغاية: وفي سياق البيت: أَنَّ الْحَسْرَةَ تَقَعُ حِينَ تَنْتَهِي لَدَا الدُّنْيَا وَيُقْضَى مِنْهَا الْمُرَادُ، وَيُبْلَغُ مِنْهَا الْغَايَةَ، فَيَجِدُ نَفْسَهُ أَمَامَ بَعْدِ هَلَاكِ الْمَوْتِ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، مَقِيمًا فِي النَّارِ بِلَا عَمَلٍ يُنْجِيهِ مِنَ الْخُلُودِ فِيهَا.

<sup>3</sup> الجيد: في اللغة هو: العنق، والرقبة.

يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ بِلَا مَوْتٍ فَتَنَعُمُوا! وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ بِلَا مَوْتٍ فَاحْزَنُوا وَتَأَلَّمُوا.

فَكَأَنَّ جُدْرَانَ السَّعِيرِ ضَحِكَتْ لِيَأْسِي، وَأَطْبَقَتْ أَغْلَاهَا عَلَى أَنْفَاسِي! وَقِيلَ لِي: دُقْ فَلَا مَوْتَ يُرِيحُ، وَلَا قَبْرَ فِيهِ تَسْتَرِيحُ.

فَصَرَخْتُ صَرَخَةً زَلَزَلَتْ قَعْرَ السَّعِيرِ، وَأَيَقَنْتُ أَنَّ لَا خَلَاصَ لِي وَلَا مَصِيرًا! فَازْدَادَ الْحُزْنَ حُزْنًا، وَالكَرْبُ وَرْنَا، وَصَاعَ الْأَمَلُ فِي الْفَنَاءِ، وَبَقِيَ الْخُلُودُ فِي دَرَكَاتِ الشَّقَاءِ! فَيَا حَسْرَةً لَا تَنْقِصِي، وَيَا نَدَامَةً لَا تَمْضِي، فَهَذَا قَدْ هَلَكَ الْمَوْتُ بَيْنَ يَدَيِ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْهُوَانُ الْأَبَدِي.

لَمَّا قَضَى الْمَوْتُ اسْتَحَالَهَا الرَّجَا \*\* وَحَلَّ خُلْدٌ مِنْ هَوَانٍ وَشَجَا<sup>1</sup>

فَلَا نَبِيٌّ يَهْتَدِي لِمَنْ أَضَا \*\* عَ النَّوْرِ، لَا سَبِيلَ فِيهَا لِلنَّجَا

\*\*\*\*\*

<sup>1</sup> كلمة الشَّجَا (بألف مقصورة في الرسم الشعري للتناسب) أصلها من الشَّجَن والشَّجُو، وهي تعني في لغة العرب: الحُزْنُ الشديد الذي يَعْتَرِضُ في الحُلُقِ فيَعْصُ بِهِ صاحبه.

## {مَشْهُدُ}

{خِطَابِ إِبْلِيسَ اللَّعِينِ، فِي قَعْرِ السِّجِّينِ}

قَالَ الْغَوِيُّ الْمُهْلِكُ الْأَفَّاكَ \* فِي قَعْرِ نَارٍ وَالْهُوَى فَتَاكَ  
أَنَا الَّذِي غَرَرْتُكُمْ بِالْبَاطِلِ \* وَالْيَوْمَ كُلُّ فِي الْجَحِيمِ نَازِلٍ  
أَنْتَ الَّذِي أَغْرَرْتَنَا يَا خَصْمَنَا \* فَارْبُطْ عَلَيْهِ ضِعْفَ مَا نَلْنَا هُنَا

فَبَيْنَمَا الْخَلْقُ فِي زَفِيرٍ وَشَهيقٍ، وَصِيقٍ مِنْ بَعْدِ صِيقٍ، إِذَا بِظِلِّ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ يُلُوحُ، لَهُ مَنْظَرٌ  
تَمُجُّهُ النَّفُوسُ وَقُبْحُ تَضْيِيقِ بِهِ الرُّوحُ!

رَأَيْنَا شَخْصاً مَشُوهَ الْخِلْقَةِ، كَرِيهَ الطَّلَعَةِ، كَأَنَّ رَأْسَهُ جَمْرَةٌ مُتَّقِدَةٌ، وَعَيْنُهُ حُفْرَةٌ مُسْوَدَّةٌ.

فَارْتَعَدَتِ الْمَفَاصِلُ مِنْ مَرَّاهِ، وَبَكَتِ الْأَعْيُنُ لِمَا رَأَتْ مِنْ شِقَاةٍ! فَصَاحَ صَيْحَةً تَصَدَّعَتْ مِنْهَا  
الْجُدْرُ، وَنَعَقَ نَعِيقاً أَمْرٌ مِنَ السَّقَرِ! فَقُلْنَا وَالْقُلُوبُ فِي الْحَنَاجِرِ: مَنْ هَذَا الْكَائِنُ الْفَاجِرُ؟ وَمَا هَذَا  
الصَّوْتُ الَّذِي يُمَزِّقُ الْمَعَاذِرَ؟<sup>1</sup>

فَإِذَا بِهِ يَرْقَى مِنْبَراً مِنْ سَعِيرٍ، وَيَنْظُرُ إِلَيْنَا بِنَظَرٍ حَقِيرٍ كَسِيرٍ! فَعَلِمْنَا أَنَّهُ إِبْلِيسُ الَّذِي غَوَانَا،  
وَبِحَبَائِلِ زَيْفِهِ أَرْدَانَا! فَضَجَّ النَّاسُ بِالْعَوِيلِ وَالنَّحِيبِ، وَعَضُّوا عَلَى أَيْدِيهِمْ مِنْ فِعْلِ هَذَا الْمُرِيبِ:  
كَيْفَ اتَّبَعْنَا مَنْ هَذَا شَكْلُهُ الْقَبِيحِ، وَصَوْتُهُ الَّذِي لَا يُمِخُّ؟ هَذَا الَّذِي كَانَ لِلْفُجْرِ لَنَا يُبِيحُ.

فَقَامَ إِبْلِيسُ اللَّعِينُ، يَخْطُبُ فِي جَمْعِ الْمَهِينِ، وَقَدْ بَدَتْ عَلَى وَجْهِهِ شِمَاتُهُ الْغَرِيمِ، وَتَشَفَّى الْعَدُوَّ  
الْأَثِيمِ! فَنَعَقَ بِصَوْتٍ يَهْدُ الرِّوَاسِي، وَيَمَلَأُ الْقُلُوبَ بِالْمَاسِي:

<sup>1</sup> معاذر: جمع: معذرة: والمراد بها، أن صوت إبليس اللعين: لا يُتَوَقَّعُ مِمَّنْ هَذَا صَوْتُهُ الْإِعْتِدَارُ، كَذَلِكَ: تَمَزِيقُ الْمَعَاذِرِ يَعْنِي  
وَصُولَ الْبَطْلِ لِمَرِحَةِ "لَا إِعْتِدَارَ الْيَوْمَ"، حَيْثُ لَا تَنْفَعُ النَّدَامَةُ وَلَا تُقْبَلُ التَّبْرِيرَاتُ.

إِنَّ اللَّهَ وَعَدُّكُمْ وَعَدَّ الْحَقِّ فَصَدَقَكُمْ، وَوَعَدْتُمْ بِغَيْرِهِ فَكَذَّبْتُمْ وَأَخْلَفْتُمْ! مَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ  
سُلْطَانٍ، وَلَا حُجَّةٍ وَلَا بَيَانٍ، إِلَّا أَنْ اللَّهَ ﷻ أَمَرَكُمْ بِالطَّهَارَةِ فَتَرَكْتُمُوهَا، وَأَمَرْتُمْ بِالنَّجَاسَةِ  
فَأَتَيْتُمُوهَا، فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ الْغَارِقَةَ، فَمَا أَنَا بِمُصْرِحِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِحِي فِي هَذِهِ  
الصَّاعِقَةِ! لَقَدْ كَفَرْتُمْ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي قَبْلَ الْمَمَاتِ، فَمَا لَكُمْ الْيَوْمَ مِنْ نَاصِرٍ وَلَا نَجَاةٍ.

فَارْدَادَ بِي الْبُؤْسِ وَالتَّعَاسَةِ، حِينَ تَشْفَى فِينَا رَأْسُ النَّجَاسَةِ! فَيَا وَيْلَتَاهُ مِنْ سِنِينَ تَمُرُّ كَالدُّهُورِ، فِي  
عَذَابٍ لَا يَعْرِفُ الْفُتُورُ! نَارٌ تَفُوقُ نَارَ الدُّنْيَا بِسَبْعِينَ صِغْفَافًا مِنَ اللَّهَبِ، وَأَرْضٌ مِنْ نُحَاسٍ مُحْمَى  
يَصْهَرُ الرُّوحَ كَالذَّهَبِ.

أَمَّا هَوَامُهَا، فَعَقَارِبُ مِثْلِ الْجَمَالِ الْعِظَامِ، وَحَيَّاتٌ كَأَمْثَالِ الْجِبَالِ الصِّخَامِ! تَنْهَشُ اللَّحْمَ وَتَهْرِسُ  
الْعِظْمَ، فِي لَيْلٍ لَا يَعْرِفُ النَّوْمَ وَلَا السَّلْمَ! نَقَاتٌ مِنْ زَقُومٍ يَقْدُ الْأَحْشَاءَ، وَنَرْتَشِفُ حَمِيمًا يَشْوِي  
الْوُجُوهَ وَالْأَعْضَاءَ.

فَلَا مَوْتَ يُرِيحُ مِنَ الْأَنْكَالِ، وَلَا صَبْرَورَةَ إِلَى تُرَابٍ كَالدَّوَابِّ وَالْبِغَالِ! حُجِبَتِ الْمَعَادِيرُ، وَأَنْقَطَعَ  
التَّدْيِيرُ، وَنَادَى الْمُتَنَادِي بَيْنَ الْأَرْجَاسِ: لَا خَلَاصَ.. لَا خَلَاصَ.. لَا خَلَاصَ...

قَدْ كُنْتُ لِلْفَجْرِ لَكُمْ أُبِيحُ \*\* وَصَوْتُ غَيْبِي عِنْدَكُمْ مُرِيحُ

لَا تَعْدِلُونِي وَاعْدِلُوا نَفُوسًا \*\* غَرِيقَةً فِي غَيْبِهَا عَبُوسًا

لَا سِيِّمًا الطُّهْرُ الَّذِي تَرَكْتُمْ \*\* وَكُلَّ حُبِّ نَجَسًا أَتَيْتُمْ

فَمَا أَنَا بِمُصْرِحٍ لَكُمْ هُنَا \*\* وَلَا نَجَاةَ بَعْدَمَا مَاتَ الْهُنَا

يَا وَيْلَنَا أَنْتَ الَّذِي أَغْرَرْتَنَا \*\* يَا وَيْلَنَا لَا فِيهِ مَنْ يُقِيلُنَا

حَتَّى غَدَا قَعْرُ السَّعِيرِ بَيْتَنَا \*\* بِجِبِلِّ زَيْفِكَ اللَّعِينِ قُدَّتْنَا

\*\*\*\*\*

## {المقامة الرابعة}

{المقامة الإنابية، في بركات التوبة والصدق والمعية}

نور إنابة هدى بعد الصلَام \* محي عن القلب الجفاء والكلام<sup>1</sup>

بصدق توبة نرى خلاصنا \* وجنة المولى هيا دار السلام

قال عصام الدين:

فبينما أنا في العذاب سين، وأنا في لظى العذاب أتقلب، ومن زفير النار وشهيقها أتعدب،  
غابت عني المشاعر، وأغمي علي في المغاير! فشكرت الله في سري، عسى الإغماء يخفف من  
وقري، ويسكن حظة من فهري.

ولكن ما طال بي الدهول، حتى فتحت عيني للمهول! فقلت: وا أسفي! ساجد النار والزبانية،  
والعقارب والسلاسل الهاوية! يا ويلي لن ينتهي هذا العذاب، فوولت وأكثرت من العتاب.

فلما فتحت العيون، وأنا من حوفي كالمجنون، إذ بي أرى نوراً بهياً، ووجهها بالرحمة نقياً! فإذا هي  
أمي توظني من المنام، وتقول برقي: يا بُني، لا بأس عليك من الأوهام.

فارتعدت فرائصي، وتقطعت وساوسي! فعلمت أن ما رأيت لم يكن حُلماً عابراً، بل حقيقة كنت  
فيها صاعراً! لقد أراد الله بي الخير فأنذرني، وقبل حلول الموت بصرني.

فارتيمت في أحضان التوبة المنيبة، ودمعي ينهمل على أيامي المعيبة! وخلعت لباس الشهوات  
والقيئات، ولبست لباس التقوى والباقيات الصالحات! فتركت المزارع والندماء، وطلبت العفو  
من رب السماء! فيا سبحان من أيقظني قبل الفوات، وأهداني نور الحق بعد السبات، وأنذرني  
قبل الرحيل، فيا لرحمة الرب الجليل.

<sup>1</sup> الكلام، بضم الكاف: هي: الجراح.

فَانْغَمَسْتُ فِي الْعِلْمِ النَّافِعِ، بَعْدَ عُمُرٍ مِنَ الْجَهْلِ الْمَانِعِ، وَطَلَبْتُ الْهُدَى بَعْدَ طُولِ التَّسَامُعِ!  
فَتَرَكْتُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا مِنَ الْغُرُورِ، وَرَجَوْتُ الْعَفْوَ مِنَ الْعَزِيزِ الْغَفُورِ! وَاكْتَسَيْتُ ثَوْبَ التَّقَى،  
وَتَشَبَّهْتُ بِأَهْلِ التَّقَى، وَتَصَبَّرْتُ عَلَى الْأَدَى، وَتَشَبَّهْتُ بِمَنْ يُحْتَدَى، وَاتَّبَعْتُ سُنَّتَهُ، وَتَقَفَّيْتُ  
حُطُوتَهُ، عَسَانِي أَلْفَاهُ عَلَى الْحَوْضِ الْمَوْزُودِ، وَأَحْصَى بِرِضَا الْغُفُورِ الْوَدُودِ.

فَيَا رَبِّ، قِنِي مَا أَنْدَرْتَنِي، وَثَبِّتْنِي عَلَى مَا بَصَّرْتَنِي، وَاجْعَلْ تَوْبَتِي حِصْنًا مِنَ السَّعِيرِ، وَمَلَاذًا يَوْمَ  
الْعَرَضِ الْأَخِيرِ، وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ،  
وَرَجَا رَحْمَةَ الْغُفُورِ الْعَلِيمِ.

بَدَا مَصِيرِي فِي الْهُدَى فَاقْتَضَتْ \*\* عَيْنِي مِنَ الشَّقَى إِلَى رُوحِ السَّلَامِ

فَلَذْتُ بِالرَّحْمَنِ أَرْجُو عَفْوَهُ \*\* وَطَلَّقْتُ دُنْيَا عَلَى مَهْرِ الْقِيَامِ

\*\*\*\*\*

## {المقامة الخامسة}

### {المقامة الوصية، في النصيحة الثقيلة}

هَذِي الْوَصِيَّةُ اعْتَبِرْ بِهَا تَفُزْ \*\* وَاسْمَعْ لِنُصْحِ مُشْفِقٍ تَرْفَى تُعَزُّ

حَكَى عِصَامُ الدِّينِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، بَعْدَمَا أَبْصَرَ وَعِيدَ الْعَاصِي وَوَعَدَ الْمُؤْمِنِ السَّلِيمِ، قَالَ:

يَا مَنْ قَرَأَ خَبْرِي وَتَدَبَّرَ، وَرَأَى مَا فِي سَطُورِي وَاعْتَسَبَ:

أَيَا أَيُّهَا الْقَارِئُ هَذِهِ الْمَقَامَاتُ، وَالْمُبْصِرُ لِمَا فِيهَا مِنَ الْعِصَابِ وَالْعِبْرَاتِ: هَذَا حَالُكَ إِنْ لَقِيتَ  
مَوْلَاكَ، وَأَنْتَ غَارِقٌ فِي هَوَاكَ.

فَاعْتَبِرْ بِصِرْعَى الْمُنُونِ، وَاسْتَيْقِظْ مِنْ حُلْمِكَ الْمَفْتُونِ، قَبْلَ أَنْ يَنْكَشِفَ الْمَسْتُورُ، وَيُعْتَرَّ مَا فِي  
الْقُبُورِ! فَمَا هِيَ إِلَّا زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ، حَتَّى تَصِيرَ أَمَانِيكَ بَائِدَةً، وَأَعْمَالُكَ عَلَيْكَ شَاهِدَةً.

فَافِقْ مِنْ سَكْرَةِ الدُّنْيَا الْغَدَارَةَ، وَفِرْ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْحَسَارَةِ، قَبْلَ أَنْ يَفُوتَ الْأَوَانُ، وَيَجِلَّ بِكَ الْهَوَلُ  
وَالْهُوَانُ! فَيَحْدُثَ لَكَ مَا قَرَأْتَهُ فِي سَطُورِي، وَتَذُوقَ مَا تَذُوقَ مِنَ الثُّبُورِ! فَاللَّيْبُ مَنْ أَنْذَرْتَهُ رُؤْيَا  
غَيْرِهِ، وَالسَّعِيدُ مَنْ أَصْلَحَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَيْرِهِ، وَخَيْرُهُمْ مَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ.

فَيَا أَيُّهَا الْمَغْرُورُ بِلَوْنِ السَّرَابِ، وَالْمُنْخَدِعُ بِطُولِ الْأَمَلِ وَالشَّبَابِ: تَدَبَّرْ حَالَ مَنْ سَبَقَكَ وَمَاتَ،  
هَلَكُوا عَنْ مَعْصِيَةٍ وَتَقْصِيرٍ وَأَفَاتَ، فَقَدْ لَطُنُوا مِثْلَكَ يَبْنُونَ الْأَمَالَ عَلَى جُرْفٍ هَارٍ، وَحَسِبُوا أَنَّ  
لَيْلَهُمْ فِي الْعِغْيِ لَنْ يَعْقُبَهُ نَهَارٌ! وَظَنُّوا أَنَّ الْمَوْتَ بَعِيدٌ، وَأَنَّهُمْ يَتُوبُونَ قَبْلَ الْوَعِيدِ، فَذَهَبُوا فِي  
غَفْلَةٍ وَجُرْمٍ شَدِيدٍ، فَمَا نَفَعَهُمُ الْقَيْنَاتُ، وَلَا أَجَارَهُمُ السَّهْرَاتُ، فَحِينَهَا يَنْقَطِعُ الرَّجَاءُ، وَمَا بَدَا  
لَهُمْ إِلَّا الشَّقَاءُ.

فَأَفِقْ مِنْ سَكْرَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ أَنْتَ الْقِصَّةَ، وَتَغْصَّ بِالرَّحِيلِ وَالْغُصَّةَ! فَمَا هِيَ إِلَّا نَفْحَةٌ، ثُمَّ صَيْحَةٌ، ثُمَّ حَسْرَةٌ، فَاتَّعِظْ بِمَا قَرَأْتَ فِي هَذِهِ الْمَقَامَاتِ، وَاجْعَلْ هَذَا الْحُلْمَ يَقْظَةً قَبْلَ الْفَوَاتِ. وَاعْمَلْ لِيَوْمٍ تَرَى فِيهِ الْمَوَازِينَ قَدْ نُصِبَتْ، وَالْحَلَائِقَ بِالْعَرَقِ قَدْ غُصِبَتْ! وَلَا تَغُرَّتْكَ ضَحْكَةُ النُّدْمَاءِ، فَإِنَّهَا حَظَةٌ وَيَحِلُّ الْقَضَاءُ.

وَإِيَّاكَ وَتَضْيِيعَ الصَّلَاةِ، فَإِنَّهَا غَدَاً لَكَ حَيَاةٌ، وَمِنْ دُونِهَا لَا نُورَ لَكَ وَلَا نَجَاةً.

وَلَا تَكُنْ بَخِيلًا عَلَى الصَّدَقَاتِ، فَإِنَّهَا سُدٌّ لِلنَّارِ وَفِيهَا النَّجَاةُ.

وَتَقَرَّبْ لَهُ بِالصِّيَامِ، فَإِنَّ لَهُ بَابَ فِي دَارِ السَّلَامِ.

وَتَقَفَّرِ الْعِلْمَ وَلَا تَمَلْ، فَإِنَّهُ بِلَا عِلْمٍ لَيْسَ لَكَ عَمَلٌ.

وَطَهِّرِ الْقَلْبَ بِالْغَفْوِ وَالتَّوَضُّعِ، وَخَاطِبِ نَفْسِكَ فِي خِلْوَتِكَ وَرَاجِعِ.

وَالْتَزِمِ التَّفَكُّرَ فَإِنَّ فِيهِ حُضُورَ، وَقُرْبَةَ مِنْ رَبِّ غُفُورٍ.

وَإِنْ زَلَلْتَ فَلَا تَيَأَسَنَّ وَتُثِّبْ وَأَنْيَبْ، فَهَذَا هُوَ خَلْقُ الْعَبْدِ، مَعِيبٌ.

وَسُنَّةُ الْمُصْطَفَى فِيهَا لَذَّةٌ، تَجْعَلُكَ آمِنًا يَوْمَ الرَّجَّةِ.

وَاسْتَمْسِكْ بِدِينِكَ وَاصْبِرْ عَلَى الْبَلَاءِ، فَلَيْسَ مِنْ بَعْدِ الصَّبْرِ عَلَيْهِ إِلَّا الرَّخَاءُ.

وَصَبْرُكَ أَنْ لَا تَتْرُكَ دِينَكَ، فَاسْمَعْ لِنُصْحِي وَلَا تَتَّبِعْ مَنْ يُشِينُكَ<sup>1</sup>.

وَصَاحِبِ أَهْلِ الصَّلَاحِ، فَلَيْسَ فِي صُحْبَتِهِمْ إِلَّا الْفَلَاحُ.

هَذِهِ وَصِيَّتِي فَالْزَمْهَا لِيَوْمِ الْفَصْلِ الْمُبِينِ، وَاسْتَغْفِرْ لِأَخِيكَ عِصَامِ الدِّينِ...

<sup>1</sup> كلمة "يُشِينُكَ" في اللغة العربية هي ضد "يُرِينُكَ"، وهي تحمل معاني العيب والإساءة والتشويه.

يَا غَافِلًا وَالْمَوْتُ يَقْفُو إِثْرَهُ \* أَفِقْ فَإِنَّ الْقَبْرَ يُذَكِّي<sup>1</sup> سِتْرَهُ  
فَالزَّمْ مَحَارِبَ الطَّهَّارَةِ الَّتِي \* تُنَجِّيكَ مِنْ هَوْلِ يَوْمِ الطَّامَةِ  
فِي مَا سَبَقَ مَوَاعِظُ مِنْ مُشْفِقٍ \* يَرْجُو نَعِيمًا وَالنَّجَا مِنْ مُوِيقٍ  
فَاسْتَغْفِرُوا لِنَجْلِ إِبْرَاهِيمَ مَنْ \* بِسَجْعِهِ يَرْجُو الْخُلَاصَ مِنْ فِتْنٍ

\*\*\*\*\*

---

<sup>1</sup> كلمة "يُذَكِّي" في اللغة من (ذكا)، ويُقال: "أذكى النار" أي رفع لهبها وأشعلها وأتم وقودها، والمعنى أن القبر سترو فهو يذكيه أي يوقده.

اللَّهُمَّ يَا مَنْ بِيَدِهِ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَيَا مَنْ لَا يُعْجِزُهُ عَرَضٌ وَلَا فَرَضٌ، اجْعَلْ هَذِهِ  
الْمَقَامَاتِ حُجَّةً لَنَا يَوْمَ الْعَرَضِ، وَسَبَبًا لِنَجَاةِ كُلِّ مَلْهُمٍ كَتَبَهَا وَقَرَّأَهَا مِنَ السُّخْطِ وَالْحَفْصِ.

اللَّهُمَّ كَمَا أَيْقَظْتَ قَلْبِي مِنْ حُلْمِهِ الْمَدْعُورِ، فَأَيْقِظْ قُلُوبَ الْفَارِئِينَ مِنْ سَكْرَةِ الْغُرُورِ! اللَّهُمَّ اجْعَلْ  
مَا كَتَبْنَاهُ ذِكْرِي تَنْفَعُ الْمُحْزُونَ، وَتَهْدِي الْمَفْتُونِ، وَتَحْمِي مَنْ جَاءَ إِلَيْكَ مِنَ الدُّونِ.

يَا رَبِّ، قِنَا وَقِ مَنْ قَرَأَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ أَهْوَالَ الْمَلَا حِدِ، وَثَبَّتْ لَنَا أَقْدَامًا عِنْدَ الشَّهَائِدِ! اللَّهُمَّ لَا  
تَفْضَحْنَا بِدُنُوبِ الْحَلَوَاتِ، وَلَا تَمْنَعْنَا شَفَاعَةَ سَيِّدِ السَّادَاتِ، وَاجْعَلْ خِتَامَنَا عَلَى أَحْسَنِ  
الْحَالَاتِ.

اللَّهُمَّ مَنْ قَرَأَ هَذِهِ الْعِبْرَ وَاعْتَبَرَ، فَنَوَّرَ قَبْرَهُ إِذَا اسْتَتَرَ، وَبَيَّضَ وَجْهَهُ يَوْمَ النَّشْرِ، هُوَ مَنْ كَتَبَ  
هَذَا الْخَبْرَ.

اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ لَنَا فِي النَّارِ مَقِيلًا، وَلَا لِلشَّيْطَانِ عَلَيْنَا سَبِيلًا، وَاجْعَلْ قَوْلَ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» لَنَا  
أَنْبِيَاً وَدَلِيلًا.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِكَاتِبِهَا وَقَارِئِهَا وَنَاشِرِهَا، وَاجْعَلْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ هِيَ مَأْوَاهُمْ وَمَصِيرُهُمْ! يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ،  
بِرَحْمَتِكَ نَسْتَعِيثُ، فَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

\*\*\*\*\*



## { الفهرس }

.....11..	بَيْنَ يَدَيِ الْمَقَامَاتِ: مِنْ مَلَاهِي الْأَدَبِ، إِلَى مَوَاعِظِ التَّلَبُّبِ
.....15.....	مقدمة
.....19.....	مُلَاحَظَةٌ مِنْهَجِيَّةٌ: فِي تَأْصِيلِ الْمَقَامَةِ الْمَرْوِيَّةِ
.....21.....	الْمَقَامَةُ الْأُولَى: الْمَقَامَةُ الْغَرَّارَةُ، فِي فِتْنَةِ الدَّارِ الْغَدَّارَةِ
.....25...	الْمَقَامَةُ الثَّانِيَّةُ: الْمَقَامَةُ اللَّحْدِيَّةُ، فِي أَهْوَالِ الْبَرْزَخِ وَالْوَحْدِيَّةِ
.....27.....	مَشْهَدٌ: قَرَعِ النَّعَالِ، وَانْقِطَاعِ آخِرِ حِبَالِ الْوِصَالِ
.....29.....	مَشْهَدٌ: مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ، وَدَهْشَةِ الْعَبْدِ عَنِ التَّنْذِيرِ
.....32.....	مَشْهَدٌ: نَفْحَةُ الْارْتِيَاعِ، وَقِيَامِ الْخَلَائِقِ لِلِاجْتِمَاعِ
.....34.....	الْمَقَامَةُ الثَّلَاثَةُ: الْمَقَامَةُ الْحَاشِرَةُ، فِي كَشْفِ مَسْتُورِ الْآخِرَةِ
.....36.....	مَشْهَدٌ: الرَّجْرَجَةُ الْوَاحِدَةُ، وَالخُرُوجِ لِلْقِيَامَةِ الشَّاهِدَةِ
.....38.....	مَشْهَدٌ: الْقَاعِ الصَّفْصَفِ، وَالْحَشْرِ إِلَى الْمَوْقِفِ الْأَخْوَفِ
.....40.....	مَشْهَدٌ: قِرَاءَةِ الْكِتَابِ، وَدَهْشَةِ الْعَبْدِ عِنْدَ الْحِسَابِ
.....42.....	مَشْهَدٌ: الْحَوْضُ الْمَوْرُودُ، وَذُودِ الْمُبْتَدِعِ وَالْعَاصِيِ اللَّذُودِ
.....44.....	مَشْهَدٌ: السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ، وَثِقَلِ الْأَوْزَارِ عِنْدَ الْحِسَابِ
.....51.....	مَشْهَدٌ: الصِّرَاطِ الْأَحَدُ، وَنَجَاةِ الْأَبْرِّ وَهَلَاكِ الْأَرْدِّ
.....55.....	مَشْهَدٌ: السَّعِيرِ الْمُؤَصَّدَةِ، وَالنَّارِ الْمُوقَدَةِ الْمُسَلَّطَةِ
.....57.....	مَشْهَدٌ: سَمَاعِ أَهَازِيَجِ الْحُبُورِ، وَانْقِطَاعِ الْأَمَلِ عَنِ مَنَازِلِ الشُّرُورِ
.....59.....	مَشْهَدٌ: الشَّفِيعِ الْمُشَفَّعِ، وَحَيِّبَةِ الظُّلُومِ الْمُتَسَفِّعِ

.....62.....	مَشْهُدُ: هَلَاكِ الْمَوْتِ، وَحَسْرَةِ النَّادِمِ عَلَى الْفَوْتِ
.....64.....	مَشْهُدُ: خِطَابِ إِبْلِيسَ اللَّعِينِ، فِي قَعْرِ السِّحِّينِ
.....66.	المَقَامَةُ الرَّابِعَةُ: المَقَامَةُ الإِنَابِيَّةُ، فِي بَرَكَاتِ التَّوْبَةِ وَالصِّدْقِ وَالْمَعِيَّةِ
.....68.....	المَقَامَةُ الْخَامِسَةُ: المَقَامَةُ الْوَصِيَّةُ، فِي النَّصِيحَةِ النَّقْلِيَّةِ
.....73.....	الفهرس
.....75.....	كتب للمؤلف

\*\*\*\*\*

## { كتب للمؤلف }

### مجموعة أصول التفسير:

- 1 - تمهيد البداية في أصول التفسير (الجزء الأول)
- 2 - تمهيد البداية في أصول التفسير (الجزء الثاني)
- 3 - معية الله تعالى
- 4 - التفسير والمفسرون
- 5 - ورقات في أصول التفسير
- 6 - المتن الحبير في أصول وكليات وقواعد التفسير.

### مجموعة الحديث والسنة:

- 7 - المنة في بيان مفهوم السنة
- 8 - المختصر في وصف خير البشر ﷺ
- 9 - قصة الإسلام من سيرة خير الأنام ﷺ
- 10 - الأربعون في فضل الصحابة وخير القرون
- 11 - الأربعون الزجرية في أحاديث زجر النساء
- 12 - الأربعون الشفائية
- 13 - طريق الأبرار 20 حديثا تملؤها الأسرار
- 14 - الترويح والملح في شرح نظم غرامي صحيح لابن فرح
- 15 - أذكار المسلم وما يتعلق به من النوافل
- 16 - جزء نوافل الأقوال والأفعال المنتقى من كتب الرجال
- 17 - الوصية بشرح الأربعين الزجرية
- 18 - عدالة التابعين المطلقة

- 19 - قرّة العين في عوالي عصام الدين  
20 - البداية في علم الرواية (علم الحديث)  
21 - قصيدة يا لائمى من غير ما برهانٍ (نظم الشمائل النبوية)

### مجموعة علم الأصول:

- 22 - الخلاصة في علم الأصول من حد الفقه (الجزء الأول)  
23 - الخلاصة في علم الأصول من حد الفقه (الجزء الثاني)  
24 - الخلاصة في علم الأصول من حد الفقه (الجزء الثالث)  
25 - الخلاصة في علم الأصول من حد الفقه (الجزء الرابع)  
26 - الخلاصة في علم الأصول من حد الفقه (الجزء الخامس)  
27 - الخلاصة في علم الأصول من حد الفقه (الجزء السادس)  
28 - التهذيب والتوضيح في شرح قواعد الترجيح  
29 - النسخ عند الأصوليين، دراسة مقارنة

### مجموعة الفقه:

- 30 - الأذان  
31 - الحجاب  
32 - الديوث  
33 - حجة الوداع من صحيح مسلم مع الشرح

### مجموعة علوم اللغة:

- 34 - البداية في الإملاء والترقيم  
35 - باب الكلام من النحو  
36 - باب الإعراب من النحو  
37 - فتح الرب السميع في علم المعني والبيان والبديع

- 38 - الإيجاز في الحقيقة والمجاز  
39 - مختصر التحفة السننية بشرح المقدمة الآجرومية  
40 - شرح مثلث قطرب  
41 - مقامات النَّقيلي، في الاستعداد للرحيلي، من دار القال والقييل

**مجموعة العقيدة:**

- 42 - منظومة نواقض الإسلام  
43 - الإيمان والعمل الصالح  
44 - المتن الأسنى في أسماء الله الحسنى  
45 - القول التين في الضروري من أصول الدين ج 1  
46 - القول التين في الضروري من أصول الدين ج 2  
47 - القول التين في الضروري من أصول الدين ج 3

**مجموعة الرقية والطب البديل:**

- 48 - الخطوات الأولية في الأعشاب الطبية  
49 - الزيوت العطرية علاج وجمال  
50 - التدليك علاج واسترخاء  
51 - في كل بيت راق (في ثوبه الجديد)  
52 - حقيقة الإصابات الروحية  
53 - المفرد في علم التشخيص  
54 - الاشتياق لرقية الأرزاق  
55 - أسرار الترياق من مختصر في كل بيت راق

## مجموعة الآداب:

56 - الإنفاق في القرآن الكريم

57 - التوكل على الله تعالى

58 - التوبة في القرآن الكريم

59 - العلم النافع

60 - العقل في القرآن الكريم

61 - ذكر الله تعالى

62 - قصيدة: أنين التائبين

وغير ذلك...

والكثير من المقالات منها:

- درء التعارض بين نصوص الكتاب، أو بين الكتاب والسنة، أو بين السنة (ورقات)

- الإمام ابن أبي ذئب (ورقات)

- حكم الإكرامية

وغير ذلك... تجدونها على شبكة الألوكة وغيرها...

**Gmail : Nguliissameddine@gmail.com**

